المشرق

السنة الحادية والثلاثون — كانون الثاني ١٩٣٣

نقل الكتب المقدّسة الى العربيّة

قبل الاسلام

بقلم عبد المسيح المقدسي (القدس الشريف)

لهذا الموضوع علاقة متينة بتاريخ ثقافتنا القديمة وحركة الافكار بين العرب في العصر الجاهلية، وبتأثير هذه الحركة على ظهور الاسلام واساليب دعوته واسباب نجاحه وكثير من ميزاته؛ بل على تاريخ امّتنا المدني وطرق مسيره، والدور الذي مثّله نصارى العرب فيه؛ الى غير ذلك من المسائل الهامة التي يعسر فهمها وتقديرها حق قدرها ان لم يتناولها الباحث من هذه الناحية. هذا ما دعاني الى وضع هذه العجالة العامّة. وهذا ما يبعث فيَّ املاً في ان علماءنا المتنزّهين عن الاغراض المذهبية وغيرها سيتناولون هذه المواضيع ليفوها حقها ويقتلوها بحثاً، ليلقوا بذلك نوراً جديداً على جانب كبير من تاريخ ثقافتنا العقلية وتاريخ امتنا الذي لا يزال غامضاً حتى اليوم.

لقد اجمع العلماء الذين بحثوا في هذا الموضوع، او كادوا يجمعون، على ان

كتب العهدين المقدسة القانونية لم تُنقل الى العربية الا في اوائل القرن التاسع للمسيح، اي في خلافة المأمون؛ وان اول من نقلها هو احمد بن عبدالله ابن سلام، مولى امير المؤمنين هارون الرشيد، وحفيد احد احبار اليهود الذين دخلوا في الاسلام في اول عهده؛ وانه نقلها[١] حرفيًا وبدون تغيير او تحريف او اختصار «عن اللغات العبرية واليونانية والصابئية» (السريانية). وهذا على ما يظهر هو الرأي الاصح، وذلك اذا اريد من النقل نقل العهدين جميعًا او اكثرهما. اما اذا اريد نقل قسم منها فقط فالاصحّ انه نقل قبل ذلك العصر، كما يُستدلّ من القطع الانجيلية وغيرها التي وجدوها في قبة صحن الجامع الاموي في دمشق، وهي مكتوبة باحرف يونانية، او كالتي عثروا عليها في اسبانية مكتوبة باحرف لاتينية، وكلها ترجع الى القرن الثامن او اواخر السابع. ولهذا، ولانهم لم يعثروا حتى اليوم على مخطوطات عربية من الكتب المقدسة والكنائسية يرتقي عهدها الى ايام الجاهلية، ولان لا احد من كتبة العرب الاقدمين او السريان او اليونان[٢] اشار الى نقل الكتب المقدسة الى العربية قبل الاسلام، فقد اجمع الذين عنوا بهذا الموضوع على ان الكتب المذكورة لم تنقل الى لغتنا الا بعد ظهور الاسلام. وهذا ما لا نسلّم به بديهيًا. لاننا نرجّح ان قسمًا من هذه الاسفار، لا سبيل اليوم الى تحديد مقداره بالدقة العلمية المطلوبة، نُقل الى العربية قبل ظهور محمد. ولدينا على ذلك بعض ادلة، او بالاحرى بعض اعتبارات هي الى الادلة العقلية اقرب منها الى الادلة النقلية، نذكرها بما امكن من الاختصار على امل ان نفرد لكل واحد منها مقالة لنفي الموضوع حقّه من البحث.

١ً معلوم ان الديانة المسيحية، على اختلاف مذاهبها ونحلها، ابتدأت

---

١) طالع عبارة الناقل بحرفها في كتاب الفهرست لابن النديم (طبع Flügel) ص٢١–٢٢

٢) ما عدا المؤرخ الكنائسي الفلسطيني اوسابيوس فانه يذكر ان الرسول بارتولماوس نقل عن الارامية الى العربية انجيل متى يوم كان في جنوب الجزيرة يدعو العرب الى المسيحية (راجع تاريخه: ك ٥ : رأس ١٠) وعن المؤرخ المذكور نُقل هذا الخبر الى سير القديسين على ما يظهر لي.

تنتشر بين العرب من يوم ان ظهرت ، كما يؤخذ ذلك من شهادة اعمال الرسل (٢:١١) والرسالة الى اهل غلاطية (١ : ١٧) ومصادر أخرى معلومة ، ولهذا لا حاجة هنا الى ذكرها. وقد كان بدء انتشارها بين عرب فلسطين ، ثم انتقلت الى سورية وما بين النهرين ، واخيراً الى جزيرة العرب حيث رسخ قدمها واتخذت صورة معلومة ومراكز ذكرها المؤرخون من عرب وغيرهم منذ اواسط القرن الرابع. والذي يظهر من اقوال المؤرخين والاصطلاحات الدينية والكنائسية التي دخلت لغتنا منذ هذا الوقت ان المسيحية دخلت الى الجزيرة العربية من طرفين ، اي من الجنوب عن يد الحبش الذين احتلوها لاول مرة في اواسط القرن الرابع وفي اوائل السادس للمرة الثانية (سنة ٥٢٥) ، ومن الشمال عن طريق سورية وما بين النهرين عن يد الدعاة السوريين. ناهيك عن اصحاب البدع والنحل المسيحية الذين كانوا يلجأون الى الجزيرة زرافات ووحداناً هرباً ممن كان يخالفهم في العقيدة ومن كانوا يخشون بأسه ، حتى اصبحت الجزيرة ملجأ[١] لاصحاب النحل المضطهدة يأتونها من جميع اطراف الشرق الادنى ليقيموا فيها في أمن تام وينشروا عقائدهم وافكارهم الغريبة احياناً بلا خوف ولا وجل. اضف الى ذلك رحلات العرب التجارية الى سورية وفلسطين وما بين النهرين واختلاطهم باخوانهم المتنصرين هناك ، وتأثير الاديرة التي كانوا ينزلون عندها ، وترددهم على الحوانيت التي كان اكثرها في ايدي النصارى ايضاً[٢] ، تدرك سرعة انتشار المسيحية بين العرب ، ولاسيما بين عرب الشمال والقبائل النازلة في ما بين النهرين. وهذا ما جوّز لاحد شيوخ المستشرقين ان يقول : « انه لو لم يظهر الاسلام لعمّت النصرانية بعد قليل من الزمن شمال الجزيرة كله من البحر الاحمر الى البحر الفارسي »[٣]. يكفي لترجيح هذا الفكر ان نذكر القارئ بان النصرانية عمّت او كادت تعم في ذلك الوقت جميع قبائل قضاعة ، واكثر

---

١) ولهذا سموها : Arabia) ferax haereseon) ، اي غنية بالبدع الدينية.

٢) راجع تأليف J. Wellhausen : *Reste arabischen Heidenthums* (الطبعة الثانية ص ٢٣١)

٣) راجع تأليف Wellhausen المذكور ، ص ٢٣٤.

قبائل ربيعة ، وتميم ، وطيّ ، وغيرها من قبائل الشمال واواسط الجزيرة . ناهيك عن قبائل الجنوب والجنوب الشرقي . وهذا ما حمل رؤساء الدين بين هذه القبائل ان يبنوا لها بيعاً واديرة وصوامع لاقامة الصلوة وسائر شعائر الدين فيها.

اذا اعتبرنا ذلك وعرفنا ان من اهمّ شعائر الدين في كنائس الشرق واحبها الى الشعب كان ان تُقرأ كل يوم مساء وصباحاً قطع من الكتب المقدسة[١] ، وان هذه العادة كانت قديمة عندهم ورثوها كما يظهر عن اليهود[٢] كما ورثوا عنهم اموراً اخرى ، جاز لنا ان نفترض ان الحاجة الكنائسية اضطرّت زعماء الدين المسيحي في البلاد العربية الى نقلِ ولو هذه القطع فقط الى لغة الشعب من يوم اصبح للعرب بيع يقيمون فيها صلواتهم وطقوسهم الدينية . والّا اضطررنا ان نفرض أن هذه الطقوس وتلك القرآت كانت تُقام وتُقرأ[٣] في بيعهم وبيوتهم واديرتهم في احدى اللغات الاجنبية ؛ وهذا محال لا يقبله العقل ولا يتّفق مع الشواهد التي سنوردها بعد ذلك.

٢ على ان البيع والاديرة والصوامع الى غير ذلك من بيوت العبادة لم تُقم في كل بلدة او قرية دخلتها النصرانية من بلاد العرب اما لقلة من دخل في النصرانية في بعض المدن والقرى ، او لفقر اهاليها ، وتفرّق كلمتهم وآرائهم لدينية بين كاثية وابيونية واريوسية وصابئية وحنيفية ونسطورية ونصرانية[٤] ، اما لاسباب اخرى نجهلها . الا ان هذه العراقيل لم تكن لتمنع اصحاب النحل المسيحية واهل التقوى والعبادة منهم ان يؤلفوا حلقات دينية كانت تجتمع في بيوت الخاصّة لقراءة بعض الكتب المقدسة والنظر فيها ، او لقراءة كتب من

---

١) المعروفة بال Kathismata وهي القراآت او القرآن ، كما كان يسمّيها السريان ، ومنها اخذ النبي العربي اسم كتابه ، ولعله عناها بقوله « فاقرأوا ما تيسّر من القرآن » (٧٣ : ٤)

٢) راجع انجيل لوقا ٤ : ١٦-١٧

٣) « ليسوا سواء من اهل الكتاب امّةٌ قائمة يتلون آيات الله اناء الليل وهم يسجدون » (القرآن ٣ : ١٠٩)

٤) نرجح مع بعض المستشرقين ان كلمة « نصراني » كانت تدلّ في بادئ الامر وفي القرآن نفسه على اصحاب احدى النحل المسيحية ، لا على المسيحية على الاطلاق

وضعهم كالاناجيل المزوّرة التي شاعت بين العرب خاصة ، اوكتب اخرى منقولة عن السريانية واليونانية كرواية اسكندر ذي القرنين مثلاً[1] ، ولقمان الحكيم ، وغيرهما . يؤيد هذا الفكر ما نعرفه عن حلقة الحنيفيين في مكة الذين عناهم النبي ، كما يخال لي ، في سورة النحل (آية ٤٥) حيث سمّاهم « اهل الذكر » والذين كان محمد يتردّد اليهم قبل اظهار دعوته[2] ليسمع قراآتهم ويشترك معهم في اعتكافاتهم الدينية وتلاوتهم للكتب المنزلة او المزوّرة . فقد ذكر صاحب الاغاني عن ورقة بن نوفل ، احد هؤلاء الحنيفيين وابن عم خديجة زوج محمد الاولى ، « انه كان امرءا تنصّر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب بالعبرانية من الانجيل ما شاء ان يكتب » (٣ : ١٤) وقال صاحب مروج الذهب[3] : « وكان ورقة قرأ الكتب ورغب عن عبادة الاوثان » ولم يَذكر اسماء الكتب التي كان يقرأها ، وهل كانت عربية او عبرانية كما قد يؤخذ من عبارة صاحب كتاب الاغاني . على اننا نعتقد انها كانت عربية مكتوبة باحرف عبرانية ، كما يجب ان تفهم عبارة الاغاني ، ان لم يكن وقع فيها تحريف . وحجتنا على ذلك ان العرب كانوا — قبل ان تشيع بينهم الاحرف النبطية — يكتبون باحرف عبرانية اوسريانية او يونانية ، وانّ صحيحَي البخاري ومسلم اللذين نُرجّح ان صاحب الاغاني اخذ عبارته عنهما لم يذكرا العبرانية بل العربية وهذه عبارة البخاري بحرفها الواحد : « وكان (ورقة) امرءا تنصّر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي ويكتب من الانجيل بالعربية ما شاء ان يكتب . » فاذا صحّ هذا الافتراض جاز لنا ان نستنتج منه ان الاناجيل ، او قسماً منها ، نُقلت الى العربية قبل الاسلام . اذ يصعب علينا ان نسلّم بان نصارى الحيرة وسورية واليمن وشبه جزيرة سينا (الايلة) وفلسطين كانوا

---

١) وقد ذكره صاحب القرآن مرارًا عديدة في كتابه ، وأخذ من روايته بعض حكايات عنه (انظر سورة الكهف آية ٥٩–٨٢ و٨٣–٩٧) وفي الآيات الاولى ابدل اسم « اسكندر » باسم « موسى » لحكمة لا ندركها . . .

٢) راجع كتاب Wellhausen المذكور سابقاً ، ص ٢٤٠

٣) ٥ : ١٣٦ من الطبعة الاوروبية .

يقرؤون في بيعهم الاناجيل والمزامير وغيرها من كتب العهدين بلغات غير مفهومة، او ظلوا يقرؤونها في هذه اللغات — هذا ان فرضنا انهم كانوا يقرؤونها فيها في بادئ الامر — زمناً طويلاً وبعد ان شاعت بينهم الاحرف العربية الحاضرة التي صاروا يدوّنون فيها تاريخ بيعهم واهمّ حوادثهم المدنية والكنائسية[١]، وكتاباتهم على ابواب اديرتهم[٢] وضرائحهم[٣] وهلمّ جرًّا.

زد على ذلك ما ذكره احد المؤرخين من ان ملك الحبشة أيلا اسبيبا (Ela Esbeba) ارسل سنة ٥٢٠ الى امبراطور بيزنطية قساً من انجيل لنصارى نجران نجا من الحريق. نعم ان صاحب هذا الخبر لم يذكر لغة هذا الانجيل، على اننا – استناداً الى ما قدّمنا من الاعتبارات والى ما سيأتي – نرجح انها كانت العربية.

٣ً ألمحنا في ما سبق الى انتشار كثير من النحل والبدع الدينية المسيحية بين عرب الجزيرة وغيرهم. ونزيد الآن على ذلك انه كان لاصحاب هذه النحل كتب خاصة بهم باللغة العربية ككتاب الكساني الذي «انزل عليه من السماء»[٤]، و«صحف ابراهيم» عند الحنيفة والصابئة، وهي التي ذكرها صاحب القرآن في مواضع قليلة من كتابه[٥]، ورآها ابن النديم بعينيه وتكلم عنها في «فهرسته»[٦]. وكل هذه الكتب او اكثرها كان في اللغة العربية، ومثلها بعض الاناجيل المزوّرة كانجيل الطفولية، وانجيل يعقوب، وانجيل متى المزوّر، وميلاد مريم العذراء، وغيرها. وبعض هذه الاناجيل لم يصل الينا الّا في اللغة العربية كانجيل الطفولية الذي يرتقي عهده، ولا شكّ، الى ما قبل الاسلام، والذي كان،

١) راجع ما ذكره الطبري عن كنائس الحيرة (١ : ٧٧٠ من الطبعة الاوربية) وابن خلدون (٢ : ٢٦٣)

٢) راجع الكتابة على عتبة البيعة التي اقامتها هند بنت الحارث في ياقوت (٢ : ٧٠٩)

٣) راجع الكتابة على ضريح امرئ القيس التي عثروا عليها في سورية.

٤) راجع تاريخ اوسابيوس الكنائسي ٦ : ٣٨ وكتاب هيپوليت «ضد جميع النحل» ٩ : ١٣

٥) ٨٧ : ١٩ ؛ و٥٣ : ٣٧.

٦) انظر Sprenger : حياة وتعاليم النبي (في الجرمانية) ١ : ٤٦–٤٩.

على ما يظهر، شائعاً في بعض الحلقات الدينية كالحنيفيين مثلاً . نستنتج ذلك من ان صاحب القرآن نقل عنه اخباراً تتعلق بمولد المسيح وحياته في الطفولية لا توجد في الاناجيل الصحيحة، وانما توجد فقط في الاناجيل المزورة المذكورة آنفاً . من ذلك حديث المسيح عن نفسه وهو طفل في المهد « اني قد جئتكم بآية من ربكم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيراً » الى آخر الاية (القرآن ٣:٤٣) فان بعضه مأخوذ بالحرف الواحد عن انجيل الطفولية (ص ٢٦) وبعضه عن انجيل توما(٢:٢-٥). وكذلك قصة مريم العذراء (سورة آل عمران) فان بعضها مأخوذ عن انجيل ميلاد مريم المزور (ص ٩) وبعضه (الآية ٣٩) عن انجيل يعقوب (٨ : ٩٤). ومثل ذلك حديث القرآن عن ولادة المسيح (سورة مريم ١٦- ٣٥) فان اكثره مأخوذ عن انجيل يعقوب المزور (١١:٢) او انجيل ميلاد مريم (٢٠) او انجيل متى المزور (ص ١٨). وهناك مقارنات عديدة غير هذه لا داعي هنا الى ايرادها، اذ يكفي لتأييد ما اردنا تأييده ما اوردنا من الامثلة. واقوى من ذلك في الدلالة على نقل بعض الكتب المقدسة الى العربية قبل الاسلام اننا نجد في القرآن آيات وآراء لا توجد الا في كتب العهدين الصحيحة المقبولة من الكنائس القديمة . وهذه الآيات والآراء كثيرة جداً تكاد لا تدخل تحت الحصر، واكثرها مأخوذ عن كتب العهد القديم، وبعضها عن كتب العهد الجديد، ومنها ما هو مأخوذ بالحرف الواحد كقوله « ولقد كتبنا في الزبور . . . ان الارض يرثها عبادي الصالحين » (الانبياء ١٠٥) وهي تقابل عبارة صاحب الزبور (٣٧ :١١) : « اما الودعاء فيرثون الارض» ومنها ما اخذ معناه فقط كقوله (٣ : ١٤١) : « فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة » (=رسالة بولس الاولى الى تيماثاوس (٤ : ٨) واما التقوى فتنفع في كل شيء، ولها موعد الحياة الحاضرة والمستقبلة ») ومنها ما قدم وأخر فيه او اختصر اختصاراً ظاهراً يسهل معه ردها الى مصدرها الاصلي كسورة ١٧: ٢٣-١٠، وسورة ٦: ١٥٢، وسورة ٢: ٧٧، فانها على الارجح تحتوي على الوصايا العشر المذكورة في كتاب الخروج (٢٠ : ٢-١٨) الى غير ذلك من الاقتباسات. على اننا – اذا صح ان محمداً اخذ هذه الآيات عن كتب العهدين –

لا نستنتج من ذلك انه اخذها رأساً عن تلك الكتب، بل نحن نرجح انه اخذها عن افواه اهل الكتاب وزعماء النحل والمذاهب التي تعرّف عليها في مكة والمدينة، وفي رحلاته الى جنوب الجزيرة وبعض اطرافها الشمالية، وربما الى بلاد ما بين النهرين. وهذا، على ما يظهر، احد اسباب تلك الاغلاط التاريخية والتحريفات التي وقعت في اسماء بعض الاشخاص مما امره معروف عند القراء. فلا حاجة اذن الى ذكره. الا ان هذا الامر لا يقدح في افتراضنا، اذ لو لم تكن هذه الكتب موجودة وتتنذ في العربية لما استطاع محمد ان يسمع قراءتها في الدوائر التي كان يتردّد اليها، او عند اولائك الاشخاص الذين كان يزورهم ويباحثهم في امور الدين، وكانوا يلون عليه قطعاً من العهدين القديم والحديث كما يشير الى ذلك القرآن نفسه من طرف خفي[1]. ناهيك عن ان بعض الآيات القرآنية جاءت مطابقة – كما بيّنّا فوق ذلك – لآيات بعض الكتب المسيحية القانونية. وهذا لا نستطيع ان ندركه الا اذا كان الاصل موجوداً وتتنذ في العربية.

٤ ان من طالع اشعار شعراء الجاهلية كامرئ القيس وامية بن ابي الصلت والنابغة الذبياني ولبيد وغيرهم، وطالع القرآن بامعان، وبعض الاناجيل المزوّرة، لا يلبث ان يندهش من كثرة ما يراه هناك من الاصطلاحات الدينية والكنائسية والاخلاقية، وقدرتها على تأدية ادقّ المعاني التي لها مساس بهذه المواضيع. وهذا، في نظري، من اقوى الادلّة على ان العرب عالجوا هذه المواضيع منذ امد بعيد، وان هذه الاصطلاحات والتعبيرات ليست حديثة العهد ولا هي وُضعت او أُخذت في يوم او في سنة. لكنها دخلت لغتنا من يوم شاعت النصرانية بين العرب، واضطر المسيحيون منهم الى استعمالها ان في بيعهم وان في بيوتهم ومجتمعاتهم وكتبهم. ولولا ذلك لما كان لهذه الالفاظ تلك المرونة وتلك السلاسة اللتان لا تُكتسبان الا مع الزمن وبعد اعمال الفكر طويلاً، ولما احتاج العرب الى وضعها، كما هي الحال مع بعض الامم الحديثة في النصرانية

١) « وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تُملى عليه بكرةً واصيلاً » (٢٥ : ٦) (قابلها على ١٦ : ١٠٥ و٤٤ : ١٢ و٣٥ : ٥)

التي لا تزال حتى اليوم عاجزة عن نقل الكتب المقدسة الى لغاتها لخلوّها من الاصطلاحات الدينية والاخلاقية ولهذا هي مضطرة اما ان تستعمل في كنائسها لغات اجنبية او ان تستعمل اصطلاحات اجنبية لا يفهمها الشعب، ومثل هذه اللغات لا يزال كثيراً في آسية وافريقية وسيبيرية وغيرها.

٥ ً اما وقد ترجح عندنا ان بعض الكتب المقدسة نقل الى العربية قبل الاسلام، فطبيعي ان نتساءل عن اللغات التي نُقلت عنها هذه الكتب، وعن اسمائها، لعلنا نجد في الجواب عن هذين السؤالين دعامة اخرى ندعم بها او نقوّي فكرتنا الاساسية التي نحاول تأييدها في هذه العجالة.

لو جمعنا الاصطلاحات الدينية والكنائسية والاخلاقية من اشعار شعراء الجاهلية، والكتب الدينية العربية المزوَّرة، وعلى الاخص من القرآن، وحللناها تحليلاً لغوياً، لوجدنا ان اكثرها غير عربي، ثم لوجدنا ان العنصر السرياني الارامي، على اختلاف لهجاته بين فلسطينية وسورية وعراقية، هو الغالب على هذه الاصطلاحات الى درجة يصح ان لا يذكر معها العنصر الفارسي (دين، بمعنى الديانة، جُناح، فردوس، عن طريق السريانية وهذه عن الفارسية القديمة پراديز) واللاتيني (قسط، قسطاس، جنّ، قنطار) واليوناني (بطريرك، أسقف، مطران، خوري، ارشمندريت، ابرشية، قنديل، قلم، ايقونة، انجيل، (بواسطة الحبشية، وقيل غيرها)، ويكاد لا يذكر في جانبها العنصر الحبشي الذي دخل لغتنا الدينية عن طريق نجران واليمن (مائدة، حواري، ناشئة (الليل) احزاب، رجيم، بمعنى الملعون، منافق، بارك وتبارك، برهان، مشكاة، فطر، منبر، صومعة، سوط، تابوت، مزمور، جبت، طاغوت، ملاك)[1] اما الاصطلاحات العبرانية فهي ولا شك كثيرة في الكتب المذكورة (عليون، ربّ، رباني، ماعون، منهاج، حبر احبار، بهيمة، مسيطر، سكينة، روح، نبي، عالم (عولم)، أمة، أمي، صنم، صدقة، سفر اسفار، وغيرها) الا انها قليلة بالقياس على الارامية التي يعسر علينا تحديدها حتى لو اقتصرنا على

---

١) راجع عن الكلمات الحبشية الدينية تأليف شيخ المستشرقين بلا جدال المرحوم Noeldeke: *Neue Beiträge zur semit Sprachwissenschaft*. Strassburg 1910, 46-53

لغة القرآن وحدها وعلى تلك الالفاظ التي لا يشك احد في اشتقاقها من السريانية . اضف الى ذلك ان اكثر الالفاظ العبرانية دخلت لغتنا عن طريق السريانية ، ولهذا تراها اقرب الى اللفظ السرياني والصيغ الارامية منها الى العبرانية [1] .

اما الكتب القانونية التي نرجح انها نقلت الى العربية قبل الاسلام فلا يسعنا ان نبتّ فيها لضعف مستنداتنا على اننا نرجح استناداً الى مقارنات ببعض آيات القرآن واسانيد نقلية اخرى انها الآتية :

كتاب التكوين:	القرآن ٣٥:٣	=	التكوين ١٧:١٧
	٨٧:٣		٤:٩
	١٦:٥		١٤:١٧ (والاحبار ١٥:٢٦ ، ٤٤)
	٢١:٧		٧:٣
	٩:١١		٢:١ (ومزمور ١٠٦–٢)
	١٩–١٥:١٢		٣٢–٢٨:٣٧ و١٦:٣٩ الخ
	٧٧:١٢		٨–٧:٤٤ و١٦-١٧ الخ

كتاب الخروج:	القرآن ٦٩:٢	=	الخروج ٦:١٧
	١٠:٥		٨–٣:١٩ و٧:٣٤
	٤٩:٥		٢٥–٢٢:٢١
	١٢٤:٧		٧–١:٣٣ و٢٨:١٢
	١٣٨:٧		١٢:٢٤ (وتثنية الاشتراع ١٠–٩:٩)
	١٥٢–١٤٧:٧		١٨–٩،١:٢٤
	٦٢:١٠		٢٢:٣٢ الخ

(١) هذه اهم الاصطلاحات الارامية : يمة ؛ عيد ؛ قسّ وقسيس : رحمان : مسيح ؛ حوت ؛ نصارى : سلوى : بهتان ؛ طوفان؛ فرقان وقرآن ؛ قربان : حنيف : سفينة : رجز؛ تاب : حُوب : اسباط : تنّور : جنّة : دين (بمعنى الدينونة) سبّح . حكمة (بمعنى *sophia* اليونانية) خلاق ؛ ساعة : صلاة : زكاة ؛ حياة ؛ تبّر : صلى ؛ صام وصوم وصيام ؛ طوبى ؛ طور ؛ فاجر ؛ فسّر ؛ قيُّوم ؛ قيامة : كتاب ؛ كرسي ؛ ملكوت : مِلّة (= كلمة) ؛ ثاني ؛ مُهيمن ؛ راهب ؛ صبغة ؛ صليب ؛ شاني ؛ شمّاس ؛ هدى : الى غير ذلك مما يصعب حصره وتعداده في مقالة كهذه.

كتاب الاحبار : القرآن ٣ : ١٧٩ = الاحبار ٩ : ٢٤

٤ : ٤٦	١٠ : ٨-٩ و ١٠ : ١٦–١٨
٥ : ٤	١٧ : ١٥، ١٨
٥ : ٤٩	٢٤ : ١١
٦ : ١٤٧	٣ : ١، ١٦، ١٧ و ٧ : ٢٣
٨ : ٦٦	٢٦ : ٨

كتاب العدد : القرآن ٣ : ١٩١ = العدد ٢٣ : ١٠

٥ : ٢٥	١٣ : ٢٩، ٣٣
٧ : ١٥٢	١٤ : ٢٧ و ١٦ : ٢٥ الخ

ك تثنية الاشتراع : القرآن ٢ : ٦٠ و ٥ : ٧٤ = تثنية ١٤ : ٢١

٢ : ٦٩	٢ : ٢٠
٣ : ٨٧	٥ : ٢٧ و ٨ : ٢، ٥ و ٥ : ١٩
٣ : ١٥٨	١٨ : ١٥
٣ : ١٨٨	٦ : ٧
٥ : ١	١٤ : ١٢–٢٢ و ٢٩ : ٨
٥ : ٤	١٢ : ١٦، ٢٠، ٢٧ و ١٤ : ٣–٢١
٥ : ١٠	١٩ : ٢٤
٥ : ٢١	١٤ : ١–٢
٥ : ١٦	٣١ : ١٦
٦ : ٧٤–٧٩	١٤ : ١٩
٧ : ١٥٢	٢٨ : ٦٢
٩ : ٦٢	٢٠ : ١–٨

انجيل متى القانوني : القرآن ٢ : ٤١ و ٥ : ٦٢ = متى ٢٣ : ٢ وق ٩ : ٢٤ = ١٠ : ٢٧

٢ : ٢١، ٢٧	٢٣ : ٢١ (وارميا ٢٢–٢٧)
٢ : ٢٢٤	٥ : ٢٤ وق ٤ : ٨٩ = ٢٤ : ٢١
٢ : ٢٦٣	١٣ : ٨ وق ٤ : ١٥٩ = ٢٣ : ١٤
٢ : ٢٦٦	٦ : ١–٤ وق ٧ : ٥٦ = ١٣ : ٢٨
٢ : ٢٦٩–٢٧٠	٦ : ٢–٤ وق ٧ : ٢٨ = ١٩ : ٢٤
٢ : ٢٧٢	٦ : ٢–٤ وق ٧ : ١٧٨ = ١٣ : ١٤
٣ : ٢٢	٦ : ١٩
٣ : ٤٥	٢٦ : ٢٥
٣ : ٦٨	١٨ : ٢٤–٢٤ وق ٣ : ٨٥ = ١٦ : ٢٦

٣:١٧٧	٢٣:٢٤ وق ٣:١٨٢ = ١٦:٢٨
٣:١٩٤	١٩:٢٩ وق ٤:١١ = ٢٣:١٤ الخ

كتاب الزبور : القرآن ٣:١٤ = الزبور ٢:٤ وق ٢:٨٧ = ٢٩:٤

٢:٦١	٩٥:٨ (متى ١٩:٨)
٢:٢٥٦	١٢١:٢١ و٨٩:١٢ و١٣٩:٦ و١٢١:٤
٣:١٢٩	١٣:٤ وق ١٠:٥ = ١٠٤:١٩
١٠:٢٢	١٠٧:٢٣-٤٨ وق ١٣:١٤ = ١٩:٢
١٤:٢٩ -٢	١:٢ (او متى ٧:١٧-١٩)
١٤:٢٧	١٠٤-٢٥ وق ١٦:٢-١٥ = ٢:١٠٢ و١٠٤
١٧:٤٦	١٠٣:٢٠-٢٢ و١٩:٢-٤
١٨:٤٢	٩٠:٥ و٩٢:٨

بقيت عدة مشابهات بين بعض آيات القرآن وانجيل لوقا ، والرسائل الى اهل كورنثوس ، وغلطية ، ورومية ، ورسالة بطرس الثانية ، وتسالونيكة الاولى ، واعمال الرسل ؛ وكتب بعض الانبياء كارميا ، واشعيا . الا ان وجه المشابهة بينها ضعيف يصح ان يُفسَّر بتوارد الافكار ، او ان محمدًا اخذ هذه الافكار عن افواه الناس . بناء على كل ذلك نرّجح : اولًا ان الكتب المقدسة التي نُقلت الى العربية قبل الاسلام هي التوراة ، اي الخمسة الاسفار الاولى من العهد القديم ، ثمّ كتاب الزبور منه ايضاً ، وانجيل متى من كتب العهد الجديد . وثانياً ان هذه الكتب نُقلت الى لغتنا عن السريانية او الارامية ، لا اليونانية ، واكثر الظن انها نقلت في اديرة سورية وفلسطين وطورسينا وما بين النهرين ، لا في بلاد العرب نفسها . والله اعلم !

المناذرة ملوك الحيرة

قرن ونيف من تاريخهم
٤٠٣ - ٥١٤ م

بقلم يوسف غنيمة (بغداد)

٢

(تتمة)

المنذر الاول ابن النعمان الاول

٤٣١ - ٤٧٣ م[١]

كانت أمه هند بنت زيد مناة بن زيد بن عمر الغسّاني[٢] . وقد روى المؤرخ سقراط[٣] انه دخل بلاد الروم فنهب وسلب واحرق وسبى وكان يقصد النير الى القسطنطينية ليفتحها . لكنه لم يفلح ، وأصيب جيشه بكسرة عظيمة ، وقتل منهم مئة الف . ويقول الكتبة الارميون قتل منهم سبعون الفاً[٤] . ولو دخل الفرس عاصمة النصرانية يومئذ لتغير وجه اوربة ، كما تغير لما فتحها العثمانيون بعد ذلك بالف سنة ونيف . ولكن اوربة نجت يومئذ باضطراب وقع في معسكر المنذر اضطره الى عقد الصلح .

ان رواية حمزة الاصفهاني[٥] التي تنصّ على ان آخر حكم النعمان السائح كان في زمن بهرام جور بن يزدجرد اربع عشرة سنة واربعة اشهر اي من سنة تبوء بهرام سنة ٤٢٠ الى بعد ١٤ سنة ، اي الى سنة ٤٣٤ ، على زعمه ، توقعنا

---

١) يرى دي برسفال ومن اخذ عنه ان زمن حكم المنذر كان من ٤١٨-٤٦٢

٢) حمزة الاصفهاني ٦٦

٣) تاريخه : ك ٧ ، ف ١٨

٤) النصرانية وآدابها ٨٧

٥) تاريخ سني الملوك ٦٩

في ارتباك تاريخي وتعسر علينا التوفيق بينها وبين رواية سقراط القائلة بغزو المنذر بلاد الروم. لانه بعد عقد الصلح بين بهرام جور واركاديوس سنة ٤٢٢ كما ذكرنا ذلك في تاريخ النعمان الاكبر لم تشب نار الحرب بين الفرس والروم في عهد بهرام جور. ولا تحل هذه المشكلة الّا اذا فرضنا ان غزوة المنذر بلاد الروم لم تكن الّا حملة عربية قام بها المنذر مباشرة ولا دخل الفرس بها . او اذا جارينا كوسن دي پرسڤال ، وكليمان هوار ، والاب شيخو[1] في تاريخ انتهاء حكم النعمان السائح سنة ٤١٨ اي قبيل تبوُّء بهرام جور عرش الاكاسرة بسنتين ، وابتدا حكم المنذر الاول سنة ٤١٨ عينها . فحينئذٍ يحق لنا القول باشتراك المنذر الاول في حرب الفرس والروم معاونةً للفرس[2] وانه شهد سنة ٤٢١ اندحار الفرس ، وتكبد جيشه العربي خسائر في هذه الموقعة[3].

وفي هذه الحالة يجب علينا ان نضرب برواية حمزة الاصفهاني عرض الحائط. وعلى كل فلا نتمكن اليوم من البتّ في هذا التاريخ الذي يُعدّ من المغامز الكثيرة في تواريخ آل نصر اللخميين.

الاسود

٤٧٣ — ٤٩٣[4]

قبل ان نتكلم عن حكم الاسود بن المنذر يجدر بنا ان نلمع الى اقوال بعض المؤرخين المحدثين في ملث جعلوه بين المنذر والاسود ، وهو الذي سموه النعمان الثاني ابن المنذر الاول وجعلوا حكمه من سنة ٤٦٢ — ٤٧١[5]. قال كوسن دي پرسڤال[6] عن النعمان الثاني ما يأتي : لم يذكر هذا الملك حمزة الاصفهاني ولا ابو الفداء في جدول ملوك الحيرة ، وبقي كذلك مجهولًا من العلماء الاوروبيين

١) پرسڤال : العرب قبل الاسلام ٢ : ٥٩ ؛ وهوار : تاريخ العرب ١ : ٦٦ ؛ وشيخو : مجاني الادب : ٣

٢) هوار ١ : ٦٦

٣) سايكس : تاريخ بلاد فارس ١ : ٤٦٧

٤) يجعل پرسڤال حكمه من سنة ٤٧١—٤٩١ ويجعل هوار حكمه ٤٦٢—٤٨٢

٥) كوسن دي پرسڤال وشيخو وادي شير وغيرهم . الا ان هوار لا يعده من ملوك الحيرة.

٦) كتابه العرب قبل الاسلام ٢ : ٦٤

الذين اشتغلوا بهذا القسم من تاريخ العرب . واول من اقرّ منهم وجوب تدوين اسم النعمان بن المنذر الاول هو م. س. مارتن[١] استناداً الى شهادة الطبري شهادة وضعية . واما المسعودي[٢] فانه يؤيد كل التأييد هذه الفكرة ويذكر بعد المنذر الاول توّا ابنه النعمان وينسب اليه تأليف الكتيبتين الشهباء والدوسر اللتين ينسبها غيره من مؤرخي العرب الى النعمان الاول ، وجعل حكمه ٣٥ سنه . وقال : كانت امه هند بنت زيد بن مناة من آل غسّان[٣] . وقد ذكره الطبري[٤] في رأس جيش العرب الذين عضدوا بهرام جور لاسترداد ملك الاكاسرة في زمن ابيه المنذر الاول ابن النعمان . وجاء في رواية[٥] ان النعمان بن المنذر الذي ظهر في العمل الذي قام به ابوه المنذر الاول لمناضدة بهرام جور في استرجاع حقوقه بقي في بلاط الاكاسرة مدة حياة بهرام بين مصاف كبار الضباط مرتبطاً بهذا الملك . وجاء ايضاً[٦] ان اولاد المنذر ، وهم النعمان والاسود والمنذر الثاني ، تعاقبوا بالتتابع على حكم الحيرة بعد وفاة ابيهم . الّا ان اخبارهم اتت مضطربة ولا تصلح ان تكون سنداً للتاريخ . وجاء في مجاني الادب[٧] وشعراء النصرانية وكان وزيره عدي ابن زيد فنصّره فتزهّد .

الى هنا نمسك القلم في تاريخ النعمان الثاني الذي ذكره بعضهم ولم ندخله في جدولنا عن ملوك الحيرة ، لان زيادة البحث في هذا الموضوع المعقّد يزيد تاريخ آل نصر في هذه الحقبة ارتباكاً وغموضاً .

لنرجع الآن الى الاسود الاول ونقول : روى حمزة الاصفهاني[٨] . كانت امه هرّ بنت النعمان وهي من بني الهيجانية من لخم . وذكر المسعودي[٩] اسمها هند بنت الهيجانية من آل نصر . ويؤخذ من قول ابي الفداء انه حارب الغساسنة عرب الشام وانتصر عليهم واسر عدة من ملوكهم واراد ان يعفو عنهم .

---

١) *Histoire du Bas Empire de* Lebon, V: 407

٢) مروج الذهب ٣:١٩٩

٣) مروج الذهب ٣:١٩٩ ٤) ٢:٧٣

٥) ميرخوند ترجمة سامي ٢٢٣ ٦) شيخو : النصرانية وآدا ا ٨٧

٧) ٣:٢٠٨ ٨) ص ٦٦ ٩) مروج الذهب ٣:١٩٩

ولكن ابن عمته أذينة اغراه بقتلهم انتقاماً منهم لانهم كانوا قد قتلوا له اخاً وانشد في ذلك قصيدته المشهورة :

ما كلّ يوم ينال المرء ما طلبا   ولا يسوّغه المقدار ما وهبا ،
واحزم الناس من ، ان فرصة عرضت ،   لم يجعل السبب الموصول منقضبا ،
وانصف الناس في كل المواطن من   سقى المعادين بالكاس الذي شربا ،
وليس يظلمهم من راح يضربهم   بحدّ سيفٍ به من قبلهم ضربا .
والعفو ، الّا عن الاكفاء ، مكرمة .   من قال غير الذي قد قلته كذبا .
قتلت عمرًا وتستبقي يزيد لقد   رأيت رأياً يجرّ الويلَ والحربا .
لا تقطعن ذنب الافعى وترسلها ،   ان كنت شهماً ، فاتبع راسها الذنبا !
هم جردوا السيف فاجعلهم له جزرًا ،   واوقدوا النار فاجعلهم لها حطبا ،
واذكر بنجاهم مثوى ابي كرب   فيهم وحبس عديّ عندهم حقبا[1]
وسيف جدك لمّا ان اضربهم   جاؤا به لك في اسلابهم سلبا ،
لا عفو عن مثلهم في مثل ما طلبوا ،   وان يكن ذاك كان الملك والعطبا .
ان تعفُ عنهم يقول الناس كلهم   لم يعفُ حلماً ، ولكن عفوه رهبا .
وان احسن من ذا العفو لو هزموا ؟   لكن هم طلبوا من سيفك الهربا .
هم اهل غسّان ، ومجدهم   عالٍ ، فان حاولوا ملكاً فلا عجبا !
ايحلبون دماً منا ، ونحلبهم   رسلًا ؟ لقد شرفونا في الورى حلبا !
علامَ تقبل منهم فدية ، وهم   لا فضة قبلوا منا ولا ذهبا ؟
اسق الكلابَ غدًا من فتية دمها   عند البرية تستقي به الكلبا[1]
لو لم يسر جاز ان تعفو مجاجزةً   والليث لا يحسن النقبا اذا وثبا

وقال ابن الاثير خلاف ذلك ، ان الاسود قتلته غسان وانتصرت عليه[2] . وذكر غيرهما غير ذلك . وجاء في بعض الروايات ان الفرس سجنت الاسود

---

١) لم يذكر ابو الفداء هذا البيت والبيتين اللذين عقباه ، بل ذكرهما الوطواط . راجع شرح مجاني الادب (٧ : ١٨٤)

٢) لم يذكر ابو الفداء البيتين الاخيرين بل ذكرهما الوطواط .

٣) ابو الفداء ١ : ٧١ ؛ والقرماني ص ٢٤٠ .

عشرين سنة[١]. ويقال انه كان له ابن اسمه شرحبيل كانت ترضعه سلمى بنت ظالم، اخت الحارث بن ظالم، وامرأة سنان بن ابي حارثة. فقتله الحارث بن ظالم، وهرب. فغزا الاسود بني ذبيان اذ نقضوا العهد وبني اسد بشط اريك[٢]. فقتل فيهم قتلاً ذريعاً وسبى واستاق اموالهم. ووجد نعل ابنه شرحبيل عند أضاخ وهو من الشربة[٣] في بني محارب بن حفصة بن قيس عيلان. فاحمى لهم الاسود الصفا التي بصحراء أضاخ[٤]. وقال لهم اني احذيكم نعالاً، فامشاهم على الصفا المحمي فتساقط لحم اقدامهم. وقيل ان الحرث بن سفيان دفع الى الاسود دية ابنه الف بعير، وهي دية الملوك[٥].

ويقال انه كان للاسود كتيبة شديدة البأس ألقت الرعب في قلوب العرب اسمها الملجأ[٦].

وقبل ان نختم هذا البحث لا بد لنا من التنبيه مرة أخرى الى ان اقوال المؤرخين متضاربة في وقائع الحارث بن ظالم. فمنهم من قال انها مع النعمان بن امرئ القيس، ومنهم من قال انها مع حفيده الاسود بن المنذر او مع النعمان ابن المنذر اخي الاسود هذا![٧] ولا يبعد انهم جميعاً اشتركوا في حرب بني دارم من تميم قبل يوم رحرحان، وفي يوم رحرحان، وما بعده. وان العداء دام طويلاً ووقعت كل هذه الامور متتابعاً لانتقام كل طرف من خصمه في دوره، مثلما يقع للعرب حتى في يومنا هذا. ونظن ان هذا الرأي وحده يوفّق بين مختلف روايات المؤرخين في يوم رحرحان، على ما مرَّ بنا اعلاه في تاريخ النعمان بن امرئ القيس.

---

١) الطبري ٢: ٨٦؛ وهوار ١: ٦٦.

٢) جبل او واد في البادية الى جنب النقرة، وورد ذكره في اشعارهم.

٣) أضاخ من قرى اليمامة: وله ذكر في قصة امرئ القيس. والشربة بين السليلة والربذة وقيل بنجد.

٤) مرَّ ذكرها، قال الاصمعي: ومن مياههم الرَّسيس ثم الاراطة وبينها وبين اضاخ ليلة واضاخ سوق وهي معدن البرم.

٥) الاغاني ١٠: ٢٢–٢٣ ٦) كذلك ص ٢١

٧) ابن الاثير ١: ٢٣٢؛ والاغاني ١٠: ٢٨

المنذر الثاني ابن المنذر الاول

٤٩٣ – ٥٠٠[١]

لا نعرف الّا الشيء النزر عن تاريخ هذا الملك . فقد روى الاصفهاني[٢] ان اسم امه هر ، وحكم سبع سنوات في عهد قباذ بن فيروز ، ولم نقف على غير ذلك مهما استقصينا البحث في المصادر التي بين ايدينا .

النعمان الثاني ابن الاسود[٣]

٥٠٠ – ٥٠٤م

ملك النعمان بن الاسود بعد عمه المنذر . وقد اغفل ذكره ابو الفداء[٤] ، ولكن ذكره غيره من مؤرخي العرب كالطبري[٥] ، وحمزة الاصفهاني[٦] ، وابن الاثير[٧] . ولا نعلم كيف ساغ لكوسن دي برسڤال[٨] ان يقول لم يذكر هذا الامير ابو الفداء ولامعظم المؤرخين العرب . ونسب العثور على اسمه للمؤرخ م. تيكسرون استناداً الى الاخبار التي نقلها الينا الكتبة اليونان والسريان ، ثم أيدها حمزة الاصفهاني . مع اننا رأينا الطبري وابن الاثير ذكراه .

قال حمزة الاصفهاني : امه ام الملك بنت عمرو بن حجر ، أخت الحارث بن عمرو بن حجر الكندي[٩] . جاء كتبة العرب باسم هذا الملك على ما راينا فريق هذا ، ولكن لم يزوّدونا باخباره . فسدَّ كتبة اليونان والسريان هذه الثلمة[١٠] . حكم النعمان في زمن قباذ ملك الفرس فثارت الحرب بين الفرس

١) يجعل بعض المؤرخين حكمه ٤٩١–٤٩٨ ومنهم كوسن دي برسڤال .
٢) تاريخ ملوك الارض والانبياء ص ٦٩
٣) يعتبر بعضهم النعمان بن الاسود هذا النعمان الثالث لانهم ادخلوا في جدول ملوك الحيرة النعمان ابن المنذر ، وجعلوا ايام حكمه بعد ابيه المنذر الاول وقبل اخيه الاسود ، كما مرّ بنا .
٤) تاريخه ١ : ٧١
٥) تاريخه ٢ : ٩٤
٦) تاريخه ص ٦٩
٧) الكامل ١ : ١٧٧
٨) كتابه الفرنسي في تاريخ العرب قبل الاسلام ٢ : ٦٧
٩) ص ٦٩
١٠) زيدان : العرب قبل الاسلام ١ : ٢٠٦

والروم في تلك المطاوي، وكان على الروم القيصر انستاس[١] . فاستعان قباذ بالنعمان فأجابه وصال في سورية على الفرات واقلق كل القلق الروم وحلفاءهم العرب . فطارده اوجين حاكم مدينة بترابسي، وتسمى اليوم البئر على ضفاف الفرات، وارجعه على اعقابه . ولكنه عاد فاشترك في الحرب سنة ٥٠٤، وعهد اليه قباذ ان يلقي بذور الاضطراب في حران حيث كسر كراسوس (Crassus) ولما كانت الحرب سجالًا غلب على امره، وانتصر عليه كراسوس . فلم يفشل بهذه الكسرة، بل استأنف الكرة عليهما وضربهما ضربة اليمة قرب تل موزان . وغزا من حران الى الرُّها واسر الاسرى، ويقال انه سبى من اهلها ١٨٥٠٠ نسمة[٢] وتوجه الى الخابور قرب قرقيسيا . ولكنه دحر هناك ومني بخسائر . ويقال انه جرح في رأسه في هذه الحرب، ومات من جروحه[٣] .

ويظن الاب شيخو[٤] ان مؤرخي الروم ارادوا النعمان بن الاسود، لمّا قالوا ان ملك العرب طلب من قباذ عند فتح الفرس مدينة آمد ان لا يصيب باذى من التجأ الى كنيسة الاربعين شهيدًا واخبر يوشع العمودي[٥] المؤرخ السرياني ان النعمان مشى اخيرًا الى محاربة الرُّها مع قباذ، ولمّا نهاهما عن ذلك احد ضباط جيشه وذكر له قصة ابجر ملك الرها والسيد المسيح غضب عليه النعمان وشتم دينه . وكان ذلك داعياً الى موته اذ انتقض جرحه السابق فمات .

وفي تضاعيف حكم النعمان تعدى بكر وتغلب على حدود العراق فجرد

---

١) سايكس : تاريخ فارس بالانكليزية ١ : ٤٧٦

٢) ادّي شير : كلدو وآثور ٢ : ٢٠٦

٣) پرسفال ٢ : ٦٧ – ٦٨ وكليان هوار ١ : ٦٦ . ولا بدّ من التنبيه هنا ان پرسڤال وهوار يجعلان حكم النعمان هذا ٤٩٨ – ٥٠٣ واول حروبه في البئر سنة ٤٩٨ والثانية ٥٠٢ عوضًا عن سنة ٥٠٤ المذكورة في المتن اعلاه .

٤) النصرانية وآدابها ص ٨٨

٥) Josué le Stylite, Edition Martin, 429 والمكتبة الشرقية للسمعاني ١ : ٢٧٦، والعرب قبل الاسلام لزيدان ١ : ٢٠٦ ؛ وشيخو : النصرانية وآدابها ٨٨ .

عليهم جيشاً بقيادة ابنه امرئ القيس . ولم يحضر المعركة لانه كان مع قباذ في محاصرة الرُّها ، فهجم الاعداء على الحيرة لاتفاقهم والروم على المناذرة[1] .

قصارى القول ان النعمان بن الاسود قضى مـدة حكمه القصيرة ، وهو خارج الحيرة يحارب الروم في سورية والجزيرة ، وابلى بلاء حسناً[2] . وعند وفاته عين قباذ خليفة له رجلا دخيلا ليس من آل نصر .

ابو يعفر علقمة

٥٠٤ — ٥٠٧

بعد وفاة النعمان بن الاسود أقام قباذ رجلا دخيلا على حكم الحيرة ، وهو ابو يعفر علقمة ، وهو ابن علقمة بن مالك بن عدي بن الذميل بن ثور بن اسس ابن ربي بن نمارة بن لخم[2] . لم يكن هذا الرجل من آل عمرو السلالة الحاكمة في الحيرة ، بل كان من ذميل وذميل بطن من لخم فهو من اشراف الحيرة فقط . وقد دعاه يوشع العمودي المؤرخ ابا الفداء[4] . فتولية الحكم رجلا دخيلا بوجود ولد للنعمان بن الاسود يعد غرابة ، ولاسيما وان النعمان خدم قباذ والدولـة الفارسية في الحروب والقتال ، الا اذا فرضنا ان علقمة لم يكن ملكاً بل عينه قباذ لتدبير شؤون الحيرة موقتاً ، ربما كان ذلك لغياب امرئ القيس بن النعمان عن الحيرة وانشغاله في ساحة الحرب نصرة للفرس على الروم[5] .

امرؤ القيس الثالث

٥٠٧—٥١٤

تولّى عرش المناذرة بعد ابي يعفر علقمة الدخيل . قـال بعضهم ان امرء

---

١) كليمان هوار : تاريخ العرب ١ : ٦٦ .

٢) زيدان : العرب قبل الإسلام ص ٢٠٩ .

٣) الطبري ٢ : ١٤ . ٤) شيخو : النصرانية وآدابها ص ٨٨ .

٥) پرستال : تاريخ العرب قبل الاسلام ٢ : ٢٣ . يذكر لابور في كتابه النصرانية في مملكة فارس (ص١٥٩) عقد الصلح بين قباذ ويوستنيانس الاول سنة ٥٠٦ .

القيس الثالث هو ابن النعمان الاعور[١] . وقال بعضهم ان ذلك خطاء فهو ابن النعمان الثاني ابن الاسود بن المنذر بن النعمان الاعور[٢]. ولم يذكره بين ملوك الحيرة الطبري[٣] ولا ابن الاثير[٤] ، ولا المسعودي[٥] . ولكن ذكره غيرهم ، وهم حمزة الاصفهاني[٦] ، وابو الفداء،[٧] ، وابو الوليد محمد بن الشحنة[٨] ، والقرماني[٩] . وقيل لمّا ولي الحكم كان متقدّماً في السن[١٠] .

روى حمزة الاصفهاني[١١] ان امرء القيس هذا هو الـذي غزا بكرًا يوم اوارة . والارجح عندنا ان عمرو بن هند غزا بكرًا وتميماً يوم اوارة ولكن لا ندري هل حارب بكرًا في ايامـه انتقاماً منهم لاجتياحهم الحيرة ايام ابيه كما مرَّ بنا ، وانتصر عليهم في غير يوم اوارة ، فالتبث الامر على الاصفهاني واتخذه لهذه الوقعة بطل اوارة وهماً . وهذا الفرض وحده يوفق بين رواية الاصفهاني وروايات المؤرخين الآخرين في يوم اوارة .

وجاء عن امرئ القيس[١٢] انه حارب ربيعة بن نزار في البحرين ونجـد ، واختطف منهم ماء السماء التي تزوجها . وفي غزوة ثانية اسرته قبيلة شيبان . ولم ينل حريته الا بفدية كبيرة . وكان كل ذلك قبل تملكه الحيرة . وكان الخصام بين بني بكر واللخميين بلغ اشدّه ، ولم ينتهِ الّابعد ان زوج امرؤ القيس ابنه المنذر بهند بنت الحارث بن عمرو بن حجر الكندي .

وينسب اليه بناء القصرين الشهيرين[١٣] في الحيرة ، وهمـا الصنبر والعذيب ، وقد اسهبنا في وصفهما في الفصل الذي عقدناه في كتابنا بعنوان قصور الحيرة .

١) حمزة الاصفهاني ٦٩ : وابو الفداء ١ : ٧١ : ومجاني الادب ٧ : ٥٠٨

٢) الطريفي : تاريخ ملوك الحيرة ٤٧

٣) تاريخه ٢ : ٩٤

٤) الكامل ١ : ١٧٧

٥) مروج الذهب ٣ : ٢٠٠

٦) تاريخه ص ٦٩

٧) تاريخه ١ : ٧١

٨) روضة المناظر في اخبار الاوائل والاواخر ، على هامش الكامل لابن الاثير ٧ : ٥٦

٩) تاريخه ٢٤٠

١٠) شرح مجاني الادب ٧ : ٥٠٨

١١) ٦٩

١٢) كوسن دي برسڤال : العرب قبل الاسلام ٢ : ٧٢–٧٥

١٣) مجاني الادب ٣ : ٢٠٨

قبل ان نختم هذا الفصل لا بدّ من القول ان مذهب نسطور كان قد انتشر في هذه الحقبة في بلاد فارس . سعى في بثه برصوما النصيبيني بكل حماس ، وتوسّل بالوسائل المختلفة لتوطيد أسسه . وأغرى السلطة الفارسية لتعزيز شأنه لاقامة حواجز وفواصل بين نصارى فارس ونصارى مملكة الروم . روى ابن العبري[1] ان برصوما قال للملك هرمز الثالث فيروز : ان لم نعلن في الشرق عقيدة تختلف عن عقيدة امبراطور الروم لا يخلص لك تبعتك النصارى ابدًا . اعطني جيوشًا فاجعل جميع نصارى مملكتك نساطرة . حتى انهم يكرهون الروم والروم يبغضونهم . ووشى برصوما ببطريرك المدائن بابوي فصلبه كسرى فيروز (+ ٤٨١) واخذ المؤمنون جسده ودفنوه بالحيرة[2]. لان شمعون اسقف الحيرة كان ضدّ برصوما ، واصدر برصوما رسالة حرم بها بعض الاساقفة، ومنهم اسقف الحيرة[3] . ولكن البطريرك بابوي كان قد استدعى بعض الاساقفة ومنهم شمعون اسقف الحيرة وحرموا برصوما واشياعه[4] . وبعد ان انتصر المذهب النسطوري في بلاد فارس نزى نصارى الحيرة شديدي التمسك به وقاوموا مذهب الطبيعة الواحد المنوفستية بعد نضال عظيم . وكان رسوله الحميم شمعون اسقف بيت ارشم . بدأ يبث المذهب المنوفستي في الحيرة حيث تلمذ له الاشراف وبنى البيع ثم ذهب الى المدائن[5] . وكان داعية شمعون الارشامي الحجاج بن قيس الحيري ، احد اصحاب ملك الحيرة[6] ، فجادلهم البطريرك شيلا (٥٠٥-٥٢٣ م) وسعى النساطرة بالباعقبة عند السلطة الفارسية مدّعين انهم متحزّبون للروم . وبعد نضال عظيم انتصرت النساطرة على المنوفستية في الحيرة[7] . وقد اسهبنا البحث في هذا الموضوع في الفصل الذي عقدناه في كتابنا عن اديان اهل الحيرة .

---

١) لابور : النصرانية في فارس ص ١٣٥ ٢) عمرو بن متى : المجدل ٣١

٣) لابور ١٤٣ ٤) شابو السنهدوسات الشرقية ص ٥٢١

٥) دوڤال : الآداب السريانية ١٤٨-١٥٢ و١٦٣-٢٦٠

٦) ادي شير : كلدو واثور ٢ : ١٠٤

٧) كذلك ؛ نصري : ذخيرة الاذهان ١ : ١٦٨

الفقه الاسلامي

تاريخه وتطوّراته

بقلم الاب لامنس اليسوعي

١

نشأة الفقه

ان انتشار الدين الاسلامي خارج حدود الجزيرة العربية، مع انشاء الخلافة وتنظيم مؤسساتها، دفع الى تقرير «الفقه»، ومعناه الاصلي الفطنة والحكمة. فهو يقابل اذاً مثيله عند الرومانيين ,juris)
prudentia) ويشبه الحقّ الروماني ايضاً بتجديده القائل انه علمٌ بالاحكام والشرائع الالهية والبشرية (*rerum divinarum atque humanarum notitia*)
الا ان تحديد الفقه الاسلامي لا يتسع لما يتسع له تحديد الحقّ الروماني. اما في ما خصّ موضوع هذا الفقه فان النظرية الاسلامية السنية تقرّر، خلافاً للمعتزلة، انه ليس من اعمال حسنة او سيئة بحدّ نفسها وخارجاً عن احكام الشريعة المنزلة. وان القيمة الادبيّة للاعمال تتعلّق بارادة الله وحدها، تلك الارادة المدوّنة في القرآن. فالاسلام اذاً، في جوهره، ديانة شرعية صرفة. وليس فيه ما يُترك لاختيار المؤمن او لتقديره الشخصي. وعليه فان الفقه يشمل جميع الواجبات التي تفرضها الشريعة القرآنية على المسلم بصفته المثلّثة: مؤمناً، ورجلاً، وفرداً من رعية حكومة دينية. فيكون نصّ القرآن، في نظره، «خطبة في التاريخ العام» يطلعه على مصير الشعوب من حيث تطوّراتها الدينية، ويظهر له سموّ الجماعة الاسلامية على ما سواها من الجماعات البشرية. ويكون للشريعة ان تشرح وتؤوّل هذا الوحي الالهي، تفرض على المؤمنين احكام الحقوق الشخصية،

والجزائية ، والحق العام ، والحق الدولي بما يجرّه من تحديد للعلاقات بين المسلمين وغيرهم . ثم تفرض عليهم تنظيم حياتهم الدينية والسياسية والاجتماعية فتراقب مظاهرها المتنوعة وترتبها كلها على رغم تشعباتها ، حتى لا يبقى عمل واحد دون صفة مميزة ، بل ترى جميعها مقسومة الى « واجبات » او « فروض » ، والى اعمال « مباحة » او «جائزة » ، والى اعمال « محرّمة » او « مكروهة » فقط . ثم ان هذه الشريعة لا تقف عند حدود ارضية بل تتعلّق بالمؤمن وتتبعه انّى ذهب حتى في «دار الحرب» ، فليس للمؤمن من جنسية الا الجنسية الاسلامية . ولا تعتبر الشريعة غيرها ، اذ تسم كل عمل يأتيه المسلم بسمته الخاصّة .

فنتج من ذلك ان الفقهاء او العلماء المنعكفين على هذه الدروس كانوا ، فوق صفتهم القضائية او الفقهية ، لاهوتيين واخلاقيين تحيطهم الشريعة الالهية باطار خاص يشير الى انهم مفسرو تلك الشريعة السامية . هذا في اول الامر . ثم اخذ القوم يميزون بين « المتكلم » او اللاهوتي المهتم بعقائد الايمان و«الفقيه» العاكف على درس الحق الوضعي او الواجبات . ذاك الحقّ الذي تأثر في بعض اقسامه بالحقوق الاجنبية كالحقّ التلمودي البادي اثره خصوصاً منذ هجرة النبي الى المدينة ، والحقّ الروماني - البيزنطي الذي كان منتشراً في انحاء سورية ومصر عندما وصل اليها العرب . على ان اختراع الاحاديث مكّن الفقهاء من ان ينسبوا الى النبي او الى كبار الصحابة كل المقتبسات الاجنبية . ثم اتى الاجماع فادخل كل هذه العناصر الغريبة وبلّدها ، ومزجها بغيرها من العناصر الاصلية الوطنية ، فألّف منها مجموعاً متماسكاً حتى ان الناظر الى الفقه الاسلامي اليوم يشعر بوحدة ظاهرة بل بابتكار واضح .

« اصول » الفقه

اذا اخذنا بالوجهة النظرية نرى ان الفقه حقٌ موحى بكلياته وجزئياته . وعليه فهو متّصف بالجمود بعيد عن المرونة وقابلية التنوّع . وهو يستمدّ حياته من الاصلين المهيمنين في الوحي الاسلامي وهما القرآن والسُنة . هذا من الوجهة النظرية . اما من حيث العمليات فان الحاجة لم تلبث ان اجتهدت في توسيع هذا المدلول

النظري لاجنة الى غير ما تقدم من « الاصول » . وكما ان السُنة اتت شارحةً ومتممةً القرآن ، كذلك دُفع القوم بالاختبار الى القول ان الفقه لا يستغني عن معونة المنطق . فتقرّر من ثمّ ان تُحلّ المشاكل الجديدة بان يُطبَّق عليها مبادىء وُضعت لما شابهها من المشاكل السابقة . كما استُنتج مثلاً من كون الخمر محرّمة تحريم كل شراب مسكر . وكما استُنتج ايضاً من كون « الميتة » ، وهي لحم الحيوان الميت ، تصبح حلالاً في الضرورة القصوى ، قاعدة قائلة ان ليس للحاجة من شريعة . وهكذا اصبح «القياس» اصلاً جديداً من اصول الفقه ، على رغم بعض الاحاديث المعاكسة التي اوردها البخاري في « صحيحه » . على انه اذا كان في القرآن او في السنة حكم سابق يعاكس ما قد يحكم به القياس فلا يمكن ان يتعدّى هذا الاصل حكم الاصلين السابقين . من ذلك ان السارق تقطع يده ، ولكن لا يقطع لسان النمّام او المجدّف كما قد يحكم به القياس . ومن ذلك ايضاً ان « الكلب الاسود يقطع الصلاة » ولكن لا يقطعها سائر الكلاب ، لان الحديث نصّ على « كلب اسود » . وهلمّ جرّاً . وهناك « اصل » رابع للفقه وهو ما يدعى « بالاجماع » المقابل لما كان يعرفه الرومانيون بـ «*Consensus universalis* » وسنتكلم عنه بعيد هذا . واخيراً ان لم يكن للفقهاء من نص واضح في القرآن او في السنة ، وان لم يكن من سابق يمكنهم ان يقيسوا عليه ، فانهم يلجأون الى « الرأي » او الحكم البشري . على انه من المقرّر ضمنياً ان الالتجاء الى هذه الطريقة لا يمكن ان يكون الا من قبيل الشذوذ ولا يمكنه ان يخوّل « الرأي » الحقّ بان يُعتبر « اصلاً » خامساً للفقه . وهو تحديد نظري ليس غير . وهناك ايضاً من « اصول » الفقه الثنوية ما يُطلق عليه اسم « العُرف » او « العادة » ، وهو الامر الذي يستند الى الفائدة العامة الدائمة ولا يُخالف في شيء الاصلين الاولين اي القرآن والسُنة . ثم تأتي ايضاً « المصلحة » او الخير العام ، وهو غاية الشريعة . وقد توسّع الحنفيون بهذا المبدأ فولّدوا « الاستحسان » يأخذون به عندما يرون ان نتائج القياس الدقيقة قد تؤول الى ضرر كبير .

المذاهب القديمة

ان من يعتبر اصول الفقه المختلفة ويرى فيها تفوّق العناصر التقليدية او النظرية ظاهرًا كان ام ضمنيًا ، ويعتبر من جهة اخرى اهمية كل من الاصول الاربعة حقيقية كانت ام مزعومة ، لا يلبث ان يتوقع ظهور طرق مختلفة في الاستنباط والتطبيق . وهكذا كان . اما هذه الطرق او المدارس الفقهية فتعرف باسم « المذاهب » . وقد نشأت من عهد قديم اذ كان كلّ من الفقهاء يفتش عن طريقه ، فحصل تنوّع مهمّ في الآراء . ولاحكام ادّى ، في كثير من الاحيان ، الى مناظرات قوية بل الى عراك فعلي في الاسواق والمجامع . وكان على المظنونين بانهم من اصحاب « الرأي » المنصرفين الى هذا الاصل اكثر من انصرافهم الى القرآن والسنّة ، ان يبذلوا الجهد كلّه في تلك المعارك كي يحصلوا على مكان مُرضٍ . على ان تلك المناظرات الشديدة لم تكن في سبيل تعزيز المبادئ وحدها ، بل كانت خصوصاً ، وقبل كل شيء ، في سبيل استهواء الجماعات من الشعب ، وفي سبيل الحصول على رضى السلطة ، وهي وحدها توزّع المناصب القضائية . الّا ان تلك المذاهب القديمة لم تلبث ان تلاشت الواحد بعد الآخر على اثر الحملات القوية التي كانت تقوم بها منافساتها من المذاهب الجديدة . هكذا تلاشى مذهب الامام الاوزاعي السوري († ٧٧٤) . وهكذا تلاشى ايضاً مذهب المؤرخ والمفسّر المشهور الطبري . وهكذا كان نصيب المذهب الظاهري الذي اسّسه داود بن علي († ٨٨٣) والذي انتشر في بلاد فارس والاندلس والمغرب . وقد دعي بالظاهري — ويُدعى بالداودي ايضاً نسبةً الى المؤسس — لان اصحابه لا يقبلون من اصول الفقه الا القرآن والسنة وهم يشرحونهما حسب المعنى « الظاهر » او الحرفي الخارجي ، معرضين اشدّ الاعراض عن كل العناصر النظرية والشروح التأويلية . على انهم قد يعودون اليها احياناً بطرق غير مباشرة . من ذلك ان القرآن يحرّم على المرء ان يشتم والديه (١٧ : ٢٤) فتستنتج جميع المذاهب انه يحرّم ضرب الوالدين ايضاً . اما الظاهرية فيقولون ان الامر « مفهوم » فلا حاجة الى ذكره . ومن ذلك ان بعض الاحاديث يحرّم

« الشرب » في آنية الذهب والفضة . فيستنتج السنيون انه يحرّم الاكل فيها ايضاً . اما الظاهرية فلا يقرّون ذلك بل يكتفون بالنص الحرفي . . .

المذاهب السنية

على انه اعتباراً من القرن السابع الهجري ، هدأت هذه المعارك الفكرية ، واجمع القوم على اقرار اربعة مذاهب اعتُبرت كلّها سُنّية اي صحيحة ارثوذكسية ، كما نقول . اما انتشار هذه المذاهب في المناطق المختلفة فكان مسبباً عن علل ثنوية بسيطة اكثر منه عن اسباب جوهرية . من ذلك ان تابعي المذهب كانوا اقل تعلقاً بقيمة المذهب نفسه منهم بشخصية الامام المؤسس او بشخصيات تلامذته النابغين ، كما نتحقق ذلك في ابي يوسف القاضي عند الحنفية وفي تلميذه الامام الشيباني († ٨٠٥). وكانوا يتأثرون خصوصاً بميل السلطة الى احد المذاهب وبتدخلها الفعلي في نشره كما فعل امراء الاتراك في نشر المذهب الحنفي حيثما كانوا يحلّون . من ذلك ايضاً ما يلاحظه بكل دقة وصواب الجغرافي المقدسي اذ يقول ان المذهب الشامي الذي اسسه الامام الاوزاعي والذي بلغ انتشاره بلاد الاندلس ، كان سبب تلاشيه المطّرد انه كان ، في مناطق انتشاره الجغرافية ، خارجاً عن الطرق المتبعة في سير الحجّاج الى مكة.

اما مذهب الامام الشافعي († ٨١٩) الذي درّس مدة في بغداد ، فقد انتشر انتشاراً يُذكر في اول عهد العبّاسيين الذين كان يمتّ اليهم المؤسس بصلة النسب ، وظلّ على تفوّقه حتى ظهر ابو يوسف تلميذ الامام ابي حنيفة ، فنازعه التفوّق في العراق . اما في سورية فطرد المذهبُ الشافعي المذهبَ الاوزاعي المذكور آنفاً . وكان ان اتى بعد ذلك الحنابلة فاجهزوا على هذا المذهب السوري الوطني . وكان الشوافع قد ساروا من العراق منتشرين على شواطئ خليج العجم ، وفي جنوبي الجزيرة العربية انتشارهم في افريقية الشرقية ، والارخبيل الهندي ، وفلسطين ، والحجاز ، ومصر السفلى . وفي القاهرة قبر الامام المؤسس مع الجامع الازهر الشهير ، الذي أسسه الفاطميون ، والذي يوزّع اليوم على طلابه الآتين من مختلف انحاء العالم الاسلامي ، التعليم الشافعي . هذا وقد

اشتهر كثير من العلماء الشافعيين كالغزالي، والنسائي المحدث صاحب «السنن»، والاشعري، والماوردي († ١٠٥٨) وغيرهم.

اما مذهب الامام مالك بن أنس († ٧٩٥) فقد نشأ في المدينة، مهد الحديث الاصلي و«دار السُنة». فهو يزعم اذا انه يحفظ العقيدة صحيحة طاهرة راقياً في احكامه الى السنة الاولى التي تبعها النبي واصحابه الاولون. وقد دوّن «موطأ» مالك العادات الجارية في المدينة، وشريعة الحجاز التقليدية وقد تجاوز هذا المذهب الحجاز فانتشر في الاندلس حيث حلّ محلّ المذهب الاوزاعي، وعمل اصحابه بكل ما اوتوا من الوسائط في سبيل اقصاء المذاهب السنّية الاخرى. ولا يزال منتشراً حتى اليوم في المغرب، وافريقية الغربية، والسودان، وفي سائر انحاء افريقية الشمالية ما عدا مصر السفلى، ومذهبها شافعي كما ذكرنا. ثم في المناطق العربية المحاذية لخليج العجم.

واما المذهب الحنفي المنسوب الى ابي حنيفة († ٧٦٧) فسائد في جميع البلاد التركية، والبلاد التي انفصلت عن السلطنة العثمانية — وقد نشر الاتراك كما قدمنا المذهب الحنفي كمذهب رسمي للدولة — وفي جهات آسية المتوسطة والهند. ويبلغ عدد اتباعه نحو نصف عدد المسلمين في العالم. ويأتي بعد هذا المذهب من حيث العدد، المذهب الشافعي الذي كان اوفرها عدداً قبل ظهور الاتراك.

بقي مذهب الامام احمد بن حنبل († ٨٥٥)، صاحب «المسند» في الحديث، وهو يكاد يكون على وشك الاضمحلال. ولم يتمكن الحنابلة من اقرار انفسهم كاتباع مذهب رسمي الا منذ القرن السادس للهجرة، وذلك بعد كثير من المعارك المصطبغة بالدم احياناً. ولم يكن الاسلام يعتبرهم قبل ذاك الّا من اصحاب الحديث، ولا يظهر ان مؤسسهم رمى الى ابعد من هذه الغاية. ومما يميز هذا المذهب روحه الضيقة وميله الشديد الى المشاحنة والعراك، فهو اكثر المذاهب تعصباً، حتى ان الخوف من الحنابلة دفع معاصري الطبري، ذاك المفتر المسالم المحافظ، الى تخشية جثته لئلا لانه لم يكثر في كتبه من مدح ابن حنبل امامهم ومؤسس مذهبهم. زد على هذا تعلقهم الشديد بنص القرآن والحديث على طريقة الظاهرية، الا انهم اقل تطرفاً ومبالغة. وليس بين المذاهب الاربعة من

ببعض الصوفية بغض الحنابلة ، كما ان ليس بينها من يبلغ شأو الحنابلة في تضييق مجال الاجماع والقياس. وهم ، فوق ذلك ، يعارضون كل المعارضة طريقة الاشعري « بالاخذ بالوسط » تلك الطريقة المناسبة المرتقة بين نظريتي الحنابلة والمعتزلة. والحنابلة يرفضون كذلك كل حجة في الفقه لا تستند الى سلطة النبي او احد صحابته. هذا وقد انتشر المذهب اولاً انتشاراً يُذكر في سورية والعراق ، حتى ظهور السلاجقة فعملوا على ملاشاته بنشرهم المذهب الحنفي. وكان ان ظهر في القرن الرابع عشر ابن تيمية وتلامذته فعملوا نوعاً على انهاضه في سورية. الا ان تأثير الاتراك تابع الحركة التي احدثها السلاجقة فكاد يقضي على مذهب ابن حنبل في تعزيزه مذهب ابي حنيفة ، المدعو احياناً « بالامام الاعظم ». وذلك ان هذا المذهب الذي نشأ في محيط العراق المتنوع الشعوب الكثير المشاغل ، يظهر اقرب المذاهب الى التساهل المعقول ، وادناها الى استعمال «الحِيَل والمخارج» الفقهية والاساليب النظرية.

هذا وقد ظهر مؤخراً ، في منتصف القرن الثامن عشر ، الوهابيون فجددوا المذهب الحنبلي ، واقروه في وسط البلاد العربية بعد ان زادوا في تضييقه ، وفي مقاومته كل تجديد.

(للبحث صلة)



الحراثة الكهربائية

بقلم انطوان باز

المهندس من المكتب الافرنسي في بيروت

ومن مدرسة الكهرباء العليا في باريس

قيل ان القرن العشرين هو قرن «الكهرباء». ولا غرو في ذلك فقد انتشر هذا التيار انتشار البرق فتسرَّب الى كلّ الصناعات عاملًا في سعادة الانسان. ذاق المدني لذته في تنويره وتدفئته وتشنيف آذانه في الليالي الطوال بالالحان الموسيقية تأتيه من وراء البحار. وعرفه الفلاح فاستعاض بنوره الساطع عن مشاعل الحطب والزيت، ثم عمد اليه للتخفيف من عنائه ومساعدته في اعماله. فهو الآن يدير عنه فرّازات الزبدة، وطواحين الحبوب، ومقاطع التبن، ومناشير الحطب، ومضخّات الماء، وغير ذلك.

ومن غريب استخدام الكهرباء، خصوصاً في انكلترة ونروج، تنوير بيوت الدجاج ساعاتٍ معدودة في الليل فتكثر من البيض، وتحمية الارض ايام الشتاء عوضاً عن السماد، فتنمو فيها البقول بسرعة مدهشة فتباع باكورةً في المدن باسعار باهظة

وقد قام الفنيون منذ سنة ١٩٢٥ بتطبيق الكهرباء على حراثة الارض. وهذا ما نقصد تبيانه في المقال الحاضر، فنقول:

ان الحراثة الكهربائية على نوعين: نوعٌ يختص بالسهول الفسيحة والحراثة العميقة فيستلزم آلاتٍ ضخمة واختصاصيين وعمالًا عديدين مما لا يقدر عليه الّا الشركات. ونوعٌ ثانٍ اجدر بحراثة البساتين والبقع الصغيرة من الارض، وهو في استطاعة الفلاح ايًا كان.

١ النوع الاول

مبدأ الحراثة الكهربائية

اسطوانتان ضخمتان (*treuil*) مركزتان كل واحدة منهما في ناحية مقابلة من البقعة . وبين الاسطوانتين محراث مزدوج يجرّه حبلٌ فولاذي يلفّ على احدى الاسطوانتين ، فيسير من الاولى الى الثانية وبالعكس تباعاً ، حتى اذا بعد الثلم جُرّت الاسطوانتين الى ابعد ، وهلم جرّاً .

ويدير كلًّا من الاسطوانتين محرك كهربائي تتراوح قوته بين الثلاثين والمائة والعشرين حصاناً . امّا المجموع فهو ، مع ما يتبعه من الآلات ، ضمن عجلةٍ زراعية ضخمة المبنى ، عريضة الجوانب تنقل من محل الى محل إمّا بواسطة المحرك الكهربائي نفسه ، وإمّا بمحركٍ على النار قوته خمسون حصاناً . ولا يستعمل المحرك الناري في الاغلب ، الّا للتنقل من بقعة الى بقعة ومن سهل الى سهل ، اذ يتعذر حينئذٍ الحاق المجرى الكهربائي بالآلة . ولا يعجب القارئ من قوة المحرك الناري فوزن الآلة قد يبلغ ٢٤ طناً .

امّا المحراث فقلّاب يميناً وشمالًا ، وله سنّان متعاكسان ، فاذا مالَ يميناً غرز السن الاول في الارض وسار المحراث من الشمال الى اليمين ، وان مال شمالًا غرز السن الثاني وسار المحراث بالعكس . ومن الآلات ما جاءت مزدوجة او مثلثة او مربعة الاسنان ، فكان ثلمان او ثلاثة او اربعة دفعة واحدة . امّا وزن المحراث المتوسط فلا يقل عن طنّين .

المحوّلات والاسلاك الكهربائية

وممّا يزيد في صعوبة ذلك التطبيق مسألة جرّ الكهرباء الى مراكز العمل ، واسلاك شركات توزيع القوة كثيراً ما تمرّ بعيدةً عنها . فاذا كان توتّر مجرى الاسلاك ٥٠٠٠ ڤولت استخدم التيار الكهربائي رأساً لادارة المحركات . وان كان توتره فوق ذلك حُوّل في مركز نقّال من التوتّر العالي الى التوتّر المستعمل . واستعمال التوتّر ذي الخمسة آلاف ڤولت ضروري في تلك الحال رغمَ ما ينتج منه من الخطر احياناً . وضروريته في التخفيف من غلاظة الاسلاك اللاحقة بالمحرك رغم ثقل الآلة . والاسلاك هذه ممنوطة ضمن حبل ذي غلاف من

المطاط يبلغ طوله ١٢٠٠ متر. ولا يقل مركز التحويل النقال عن الثلاثة اطنان.

العمل الليلي

ورأت الشركات ان في العمل الليلي فائدةً حيناً، وحيناً اضطراراً. فاسعار القوة الكهربائية في الليل، من الساعة التاسعة فصاعداً، ارخص منها في النهار. ثم ان نزول الامطار او خيفة نزولها كثيراً ما يضطر الشركة الى الاسراع في اعمالها فيصبح العمل الليلي ضرورةً. غير ان تلك الاعمال لا تخلو من الصعوبات من مثل وجوب انارة الارض والزيادة في اجرة العامل.

محاسن الطريقة الاولى ومشاكلها

ان في الحراثة المحكي عنها فائدتين: الانتاج القوي، والثلم العميق. كيف لا وحبل الاسطوانة ١١٠٠ متر وهو يُنبئ عن طول الثلم الواحد، وسرعة المحراث تنيف على الثلاثة كيلومترات في الساعة. لذلك فمساحة الارض الممكن فلحها في يوم واحد لا تقل عن الهكتارين.

اما عمق الثلم فيبلغ ٣٠ بل ٤٠ سنتيمتراً في حال انه لا يتجاوز الخمسة عشر سنتيمتراً في الطريقة العادية.

وان كان للحراثة المذكورة فوائد ومحاسن فامامها مشاكل شتى ناجم اكثرها عن ضخامة الآلات، وغلاء اثمانها، وصعوبات نقلها وتمديد الاسلاك الكهربائية اليها، وتدريب العمال على استعمالها . . . وقد يدرك القارئ شيئاً من تلك المصاعب اذا ذكر ان وزن الاسطوانة الواحدة ٢٤ طناً وان الارض المبللة بالامطار قلما لا تخسف تحت ذلك الثقل.

وليس تدريب العمال بالشيء السهل. فان كان العامل من اهل الميكانيك والكهرباء، قام بعمله بمهارة؛ انما، وقد اعتاد المدن وملاهيها، فهو غالباً لا يقوى على سكنى القرى والمزارع، فلا يلبث ان يترك عمله او يطلب اجرة باهظة. وان كان العامل من الزراعين فليس له، في الاكثر، المام كافٍ بالمسائل الميكانيكية والكهربائية فلزم تدريبه. وقد بين الاختبار انه يقوم اذ ذاك بعمله بحذق وسرور.

اما الصعوبة القصوى فمن النوع المالي. فالمشاريع المنوّه عنها تستغرق اموالاً طائلة مقابل انتاج زهيد. فهي اذاً لا تحيا الا بموازرة الحكومة، وعصبة

الزارعين ، وشركات توزيع القوة الكهربائية .

نفقات العمل

ان ما يصرف من الكهربا. في حراثة الهكتار الواحد من الارض بعمق ٢٠ سنتيمترًا يقارب ، بالطريقة المذكورة ، الثانين كيلوات - ساعة . فاذا عددنا سعر الكيلوات الادنى ، الذي ترضى به شركات توزيع القوة كالـلواتي في بلادنا ، بثلاثة غروش سورية جاءت نفقات الهكتار عن ثمن الكهربا. فقط ٢٤٠ غرشاً واذا حسبنا ، كما جاءت في الاختبار ، ان باقي النفقات من فائدة المال واستهلاكه واجرة العمال وغيره ، تعادل ستة او ثمانية اضعاف مصروف الكهربا. ، بلغت نفقات الهكتار الواحد من الارض المحروثة ١٤٥٠ غرشاً سوريًا على الاقل .

٢ً النوع الثاني

يستنتج مما سبق صعوبة الطريقة الاولى للحراثة . فاذا نظرنا ، لا الى السهول الواسعة ، بل الى تلك البقع الصغيرة من الارض المتشتة في المزارع والقرى وفي ضواحي المدن لغرس الفاكهة والبقول ، وجدنا ان تطبيقها لمستحيل . لذلك فكر المهندس القدير السيد جيلو[1] (Mr Gillot) من معامل دروار وجيلو في باريس (*Etablissements Veuve Drouard & Gillot à Paris*) في اسطوانة خفيفة الوزن ، سهلة النقل ، يتمكن الفلاح بها من حراثة ارضه واستخدام محركها الكهربائي لاشغال جمة لعمل الزبدة ، وكسر الحبوب ، ونشر الحطب الخ . فيوفر من عنائه ومن وقته .

والعجيب في ذلك ان قوة المحرك المذكور لا تتجاوز النصف حصان ، وهو يسير بكهربا. النور كباقي الادوات المنزلية .

وقد كان الدافع لذلك الاختراع تفكير السيد جيلو في ان قوة المحرك البشري القصوى ١٠/٪ الحصان ، وهي تخف مع الوقت حتى تصبح نصف الحصان بعد عشر دقائق من العمل ، وثلث الحصان بعد نصف ساعة ، وربع الحصان بعد ٥٠ دقيقة الى ان تثبت على ١٠/٪ من الحصان لوقت من العمل يزيد على

[1] تأسف لعدم تمكننا من نشر رسم السيد جيلو ، وكان قد وعدنا به اثناء سفرنا في باريس ، فلم يصل الينا في حينه .

الثلاث ساعات ، كما يظهر من الرسم ١ . فاذا كان الانسان ، وقوته المستمرة ١٠/٪ من الحصان ، يقوم باعمال شتى كثيرة فلماذا اذًا لا يقوم بها محرك كهربائي بقوته نصف الحصان . تلك هي الفكرة التي قادت السيد جيلو في اعماله والجائه فتمكن بها من اختراعه.

مبدأ اسطوانة السيد جيلو

محرك كهربائي قوته نصف الحصان يدير اسطوانة يلفّ عليها حبل فولاذي رفيع القطر ، والمجموع مرتكز على عجلة ذات دولابين ينقلها الفلاح بيده من مكان الى مكان. حتى اذا اراد اثباتها في محل كبس على طرفها نعلا دولاباها وغرز جانباها في الارض ، فتثبت ، وفي الرسم ٣ منظر للاسطوانة.

يُثبت المجموع في جهةٍ من الارض ويؤتى بالمحراث الى الجهة المقابلة وهو موصول الى الاسطوانة بحبل فولاذي . فاذا دار المحرك وبرم الاسطوانة لفَّ الحبل عليها ، فشدَّ على المحراث ، فجرَّه ، فاتى بالثلم من اوله الى آخره . ثم يكرّ الحبل فيرجع بالمحراث الى حيث كان فيأتي بالثلم الثاني . وهلم جرًّا كما يُرى في الرسم ٥ . ومن مميزات الآلة ان المحرك يدور منفردًا عن الاسطوانة ، فلا يديرها الّا بارادة العامل يشدّ على حبل المحراث او يرخي عليه من بعيد .

حماية المحرك

وقد يطلب الزارع من المحرك اكثر من قوته فيما لو صادف المحراث صخرًا او جذرًا غليظًا . ففي مثل تلك الحال يقف المحرك من تلقاء ذاته فلا يلحق به ضررٌ ما . ولولا تلك الحركة الاوتوماتيكية لدخل التيار الكهربائي عليه بشدة فخشي اتلافه . ويشدّ المحرك على حبل المحراث بقوة تبلغ ١٥٠ كيلوغراماً . اما طول الحبل فمائة متر، وهو يجرّ المحراث بسرعة كيلومتر واحد في الساعة . وقد بلغ عمق الثلم بواسطة الآلة المستعملة ٢٠ سنتيمترًا وعرضه ١٥ س

نفقات محرك السيد جيلو نسبةً لليد العاملة

اما مقطوعية المحرك الكهربائي من الكهرباء فقليلة . ولو عدّلنا ، كما في بلادنا ، سعر الكيلوات ساعة بـ ١٠ غرشاً واجرة اليد العاملة بعشرة غروش في الساعة الواحدة ، وقابلنا بين نفقات المحرك الكهربائي والمحرك البشري ، اظهرت

افضليته الاولى ، خصوصاً عندما يطول العمل اكثر من ساعة او ساعتين فتخف قوة العامل كما بيّناه ؛ فلا يقوم ازاء المحرك الكهربائي ، عوضاً عن العامل الفرد، الا عاملان او ثلاثة او اربعة ، كما هو موضّح في الجدول ادناه :

القوة المطلوبة	مدة العمل	عدد الرجال اللازم لتأدية القوة المطلوبة	نفقات محرك كهربائي غروش سورية	نفقات اليد العاملة غروش سورية
نصف الحصان	١٠ دقائق	١	١'٣٥	١'٦٥
〃	٥٠ دقيقة	٢	٦'٣٥	١٦'٥٠
〃	١ ساعة ١٥	٣	١٠	٣٢'٥٠
〃	٢ ساعتان	٤	١٥	٨٠

هذا فيما يختص باستخدام المحرك عامةً . اما فيما يختص بتطبيقه على حراثة الارض فقد ظهر ، بالاختبار ، ان اسطوانة السيد جيلو تعمل ، في مدة من الوقت معينة ، عشرة اضعاف ما يعمله الفاعل بالرفش . فهي اذاً تعمل في ساعة ما لا يعمله الفاعل في يوم كامل . فتكون اذاً نفقة المحرك الكهربائي للعمل نفسه سبعة غروش ونصف في حال ان نفقة العامل لا تقل عن الثمانين غرشاً .

الخلاصة

يتضح مما سبق افضلية طريقة السيد جيلو لحراثة البقع الصغيرة من الارض . فهي لا تعمد الّا الى آلةٍ بسيطة ، خفيفة الوزن ، سهلة النقل ، قليلة الاتلاف ، رخيصة الثمن ، لا تستلزم محولات او اسلاكاً خصوصية ، يمر محراثها بسهولة بين الزرع والاغراس ، كما في الرسم ٦ .

ومن الحسن انه يمكن استخدام محركها لاحتياجات شتى ، غير حراثة الارض ، من قطع التبن ، وعمل الزبدة ، وكسر الحبوب ، ونشر الحطب الخ . الى غير ذلك مما يحتاج اليه المزارع في اشغاله . . .

ورب قائل يقول : وهل من طريقة لاستخدام ما تقدم في بلادنا ؟ فنقول : ان الحراثة بالطريقة الاولى ، وان جاز تطبيقها مبدئياً على سهول البقاع وسورية ، لا تأتي على اصحابها بالايراد الكافي للاسباب التي اوردناها ورغم ما قد يلاقيه اصحاب المشروع من المساعدة والتنشيط . اما الطريقة الثانية ، طريقة السيد جيلو ، فهي في استطاعة كل فلاح خصوصاً اذا تمّ ، كما نتمناه ، تعميم الكهرباء وانتشارها في القرى والمزارع .

ابن عبد ربه و « عقده »

درس ادبي تاريخي

بقلم جبرائيل جبّور
احد اساتذة الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية

٤

المصادر التي استند اليها ابن عبد ربه (تابع)

المبرّد

ويأخذ عن المبرّد محمد بن يزيد الازدي النحوي المتوفى سنة ٢٨٥ هـ[١]، تلميذ الجاحظ، فينقل من كتابه الشهير «الكامل» الذي رجع اليه نفر كبير من الادباء في القرن الرابع للهجرة كابي الفرج الاصبهاني وغيره . وينقل من غير الكامل اخباراً نثرها في العقد[٢]، مشيراً في بعض الاحيان الى مصدرها، وساكتاً في بعض الاحيان الاخرى عن ذلك . ونحن اذا رجعنا الى العقد (٣ : ٢٤٠—٢٤١) نرى ان كثيراً مما دوّنه في هذا الموضع قد نقله عن الكامل (ص ٣٩١ — ٣٩٦) دون ان يشير بكلمة الى ذلك . كذلك نرى ان بعض اخبار الازارقة[٣] مأخوذة عن الكامل ايضاً (ص ٥٨٦—٥٨٧) . واخذ ابن عبد ربه ايضاً عن كتاب آخر للمبرّد هو كتاب الروضة[٤] . ولقد ردّ على اشياء وردت فيه[٥] . والغريب انه مع كل ما اخذه عن المبرّد قد ذمّه ونعى عليه كتاب الروضة وهزأ به، قال : « الا ترى ان محمد بن يزيد النحوي على علمه

---

١) ابن النديم ١ : ٥٩

٢) ابن عبد ربه ١ : ٢٠٧ و٢٢٧ و٢٦٦ و٢٩٨ و٢٨٣ ؛ ٣ : ١٧٨ و١٧٢ و٢١٧ و٢٢٠ و٤٠٤

٣) ابن عبد ربه ١ : ٢٦٤ — ٢٦٥ ٤) ابن عبد ربه ٣ : ١٧١ و٢٦٨

٥) ابن عبد ربه ٣ : ١٧١

بالنغة ومعرفته باللسان وضع كتاباً سماه بالروضة وقصد فيه الى اخبار الشعراء المحدثين فلم يختر لكل شاعر الّا ابرد ما وجد له حتى انتهى الى الحسن بن هانئ ، وقلّما يأتي له بيت ضعيف لرقة فطنته وسبوطة نيته وعذوبة الفاظه ، فاستخرج له من البرد ابياتاً .ا سمعناها ولا رويناها ولا ندري من اين وقع عليها وهي :

الا لا يلسني في العقار جليسي ولا يلحني في شربها بعبوس
تدشّها قلبي فبغض عشقها اليّ من الاشياء كل نفيس

«واين هذا الاختيار من اختيار عمرو بن بحر الجاحظ حين اجتلب ذكره في كتاب الموالي فقال : «ومن الموالي الحسن بن هاني وهو من اقدر الناس على الشعر واطبعهم فيه» . . . وجل اشعاره الخمريات بديعة لا نظير لها فخطر بها كلها وتخطاها الى التي جانسته في برده . فما احسبه لحقه هذا الاسم المبرّد الا لبرده .»[1] وقد نعى على المبرد ايضاً ما اختاره في الروضة لابي العتاهية من الاشعار التي زعم ابن عبد ربه انها تقتل من بردها[2] .

ابن المقفع

ويأخذ عن عبدالله بن المقفع المتوفى حول سنة ١٣٩ هـ[3] فينقل عن كتابه الادب الصغير[4] وعن كليلة ودمنة[5] . كما وانه ينقل في بعض الاحيان عنه ، دون ذكر رجوعه الى كتاب بعينه كأن يقول مثلاً « قاله او وقال صاحب كليلة ودمنة[6] » او قال ابن المقفع[7] . ولا يتسع الوقت لدرس ما اذا كان رجع الى كتب ابن المقفع او انه اكتفى بما اخذه عنها ابن قتيبة فنقله عنه .

---

١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٦١ ٢) ابن عبد ربه ٣ : ٢٦٩

٣) Cl. Huart, *Ibn Mukaffa'* [The Encycl. of Islām, vol 2, p. 404]

٤) ابن عبد ربه ١ : ٦

٥) « « ١ : ٢٨٥.

٦) « « ١ : ٢٥ و٢١٣

٧) « « ١ : ٢٧٣ و٣٠١

سيبويه

واخذ ابن عبد ربه عن سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر مولى بني الحارث النحوي الشهير المتوفى سنة ١٧٧ هـ [١]. وهناك اشارة صريحة الى انه اطلع على كتابه ، اذ قال في بيت من الشعر اورده للفرزدق : «وهذا آخر كتاب سيبويه .» [٢] ويذكر بيتاً من الشعر ويقول : وقد استشهد به سيبويه في كتابه» [٣] . كذلك ينتقد سيبويه في استشهاده ببيتين في كتابه اورد قافيتها منصوبتين ، وزعم ان النصب هو على اعراب الشيء على المعنى لا على اللفظ — واللفظ يقتضي الجر — ويخطأه ويظهر له ان القافية مجرورة وان البيتين هما من قصيدتين مجرورتي القافية ثم يقول : « فما كان يضطر سيبويه ان ينصبهما ويحتال على اعرابها بهذه الحيلة الضعيفة» [٤]. وقد نستدل من هذا الخبر ، اذا صح ان ابن عبد ربه هو اول من نبه اليه ، على سعة اطلاع صاحب العقد ومعرفته بكثير من اشعار العرب القدماء . ولكن يجوز ان يكون قد نقل انتقاده هذا عن مصدر آخر . وكتاب سيبويه هذا انما هو كتاب النحو الذي قال فيه المبرّد « ركبت البحر تعظيماً له واستعظاماً لما فيه» [٥]. وقال المازني القديم : « من اراد ان يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحِ » [٦].

ابن سلام

ولم يفته الرجوع الى محمد بن سلام الجمحي المتوفى سنة ٢٣١ هـ [٧] فقد اخذ عنه واشار الى ذلك في موضعين من العقد دون ان يعيّن كتاباً [٨] . وهنا

---

١) ابن النديم ١ : ٥١
٢) ابن النديم ٢ : ٢١
٣) ابن عبد ربه ٣ : ١٧٠
٤) ابن عبد ربه ٣ : ١٧١
٥) ابن النديم ١ : ٥١
٦) ابن النديم ١ : ٥٢
٧) J. Hell : مقدمة « طبقات الشعراء » لابن سلام الجمحي ، طبعة برل ، ليدن سنة ١٩١٤ ، ص XII
٨) ابن عبد ربه ١ : ٢٨٦ ، و٣ : ٢٨٣ — اما كتب ابن سلام فهي ، فيما يذكر ابن النديم ،

لا نستطيع ان نعلم هل اخذ عنه مباشرةً او انه نقل عن ادباء اخذوا عنه .

ابو عبيدة

واستقى ابن عبد ربه من كتب ابي عبيدة معمر بن المثنى التيمي المتوفى بين سنتي ٢٠٧ و٢١٣ للهجرة [١] . فنقل عن كتابه التاج [٢] واخذ عن ابي عبيدة في مواضع كثيرة ، ولم يذكر الكتاب الذي رجع اليه بل كتفى بذكر المؤلف فقط [٣] . وقد اسند ابن عبد ربه اكثر اخباره عن وقائع العرب في كتابه الدرّة الثانية في ايام العرب ووقائعها الى ابي عبيدة دون ذكر لكتاب ما . واذا رجعنا الى الفهرست لابن النديم [٤] ، نرى ان بين الكتب التي وضعها ابو عبيدة كتاباً اسمه « الايام » كذلك نرى في كتاب المزهر في علوم اللغة للسيوطي ، (طبعة القاهرة سنة ١٢٨٢ ، ج ١ ص ٨٤) : « وقال ابو عبيدة في كتاب ايام العرب » . فلا يبعد ان يكون ابن عبد ربه قد اخذ اخباره هذه عن الكتاب المذكور ، لا سيما وفي كتاب ابن عبد ربه في ايام العرب اسهاب وتطويل . وقد ذكر فيه خبر اكثر من ثمانين واقعة اسند اكثرها الى ابي عبيدة . وروى القلقشندي في كتابه صبح الاعشى قال : «ولابي عبيدة مصنف مفرد في ايام العرب ، وقد اورد منها ابن عبد ربه في كتاب « العقد » جملة مستكثرة » [٥] .

ابن وحشيّة

ويجوز انه استقى من بعض كتب ابن وحشيّة ابي بكر احمد [او محمد]

(١ : ١١٢) كتاب الناصل في ملح الاخبار والاشعار ، كتاب بيوتات العرب ، كتاب طبقات الشعراء الجاهليين ، كتاب طبقات الشعراء الاسلاميين ، كتاب الحلاب واجر الخيل .

١) ابن النديم ١ : ٥٣

٢) ابن عبد ربه ١ : ٢٦ ؛ و٣ : ٥٣ و٥٥ و٦٩ و٢٨٧

٣) ابن عبد ربه ١ : ٥٣ و١٩٣ و٢٢٣ ؛ و٢ : ٥٥ و٩١ ؛ و٣ : ٦٠

٤) ابن النديم ١ : ٥٤

٥) القلقشندي ١ : ٢٦٣

ابن علي الكلداني النبطي، الذي عاش في منتصف القرن الثاني للهجرة[١]، اذ نقل عن كتابه الفلاحة بعض الاخبار الى كتاب الزبرجدة الثانية في طبائع الانسان وسائر الحيوان غير اننا نظن ابن عبد ربه قد نقل اخباره هذه عن ابن قتيبة الذي سبقه في النقل عن الفلاحة[٢].

واخذ عن المفضل بن محمد الضبي، وعن الاصمعي، وعن الشيباني، والعتبي، وابي جعفر البغدادي، وابن الكلبي، والزبير بن بكار، وحماد، والغزالي، والهيثم بن عدي، وابي غسان تلميذ ابي عبيدة، والرياشي، وابن شهاب الزهري، والعجلي، والكلبي، ووهب بن منبه، ومكحول، والاوزاعي، والتميمي، والمدائني، والشعبي، والعتابي، وغيرهم. ولبعض هؤلاء كتب في النوادر والاخبار ذكرها ابن النديم[٣]. ولا يتسع المقام لدرس ما اذا كان نقل عن كتب مدوّنة لهؤلاء او انه اخذ رواياتهم عن كتب لغيرهم من الذين تأخروا عنهم. واذا علمنا ان ابن قتيبة قد اخذ عن اكثر هؤلاء ادركنا صعوبة معرفة الحقيقة الخالصة.

ابن هشام

ويرجع في بعض الاحيان الى ابن اسحق، صاحب السيرة والمغازي؛ ويظهر انه لم يأخذ عنه رأساً، بل اخذ عن ابن هشام حيث يقول: «قال ابن اسحق صاحب المغازي لما نزل رسول الله» الخ... ثم يكمل الخبر مسنداً الى ابن هشام[٤]. ويقول في موضع آخر: «ومن ذلك ما رواه ابن اسحق صاحب المغازي وابن هشام. قال ابن اسحق كذا الخ»... ثم يقول: «وقال ابن

١) *Ibn Waḥshiyyah* [The Encyc. of Islâm, vol. 2, p. 427] في المقالة المهملة التوقيع.

٢) ابن عبد ربه ٣: ٢٥٥ و٢٥٨؛ وراجع ابن قتيبة ٢: ٨٤ و٩٤؛ وترى ان قسماً كبيراً من اخبار ابن عبد ربه عن طبائع الانسان والحيوان منقول عن ابن قتيبة

٣) ابن النديم ١: ٨٨ و٩٥ و٩٦ و١٠٠ و١٠٤

٤) ابن عبد ربه ٢: ٢١

هشام»[1] ويأخذ احياناً عن ابن هشام دون ذكر ابن اسحق، كأن يقول مثلاً: «قال ابن هشام»[2] الخ ...

التوراة والانجيل وغيرها

وهناك بعض المصادر الغريبة كالتوراة مثلاً، والانجيل، وكتب الفرس، وكتب ارسطوطاليس، وكتب الهند، وغيرها. فقد ذكر اخبارًا منقولة عنها في عقده. ولكن ترى هل اخذ هذه الاخبار عن هذه المصادر مباشرة ام بواسطة ابن قتيبة وغيره من الذين رجعوا اليها في كتبهم؟ يقول الاستاذ جرجي زيدان في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية: «ان ابن عبد ربه لم يقتصر فيما جمعه على ما عرفه العرب بل نقل عن الكتب التي ترجمت الى العربية في ذلك الزمن عن اليونانية والهندية والفارسية وهو يشير الى ذلك في كلامه.»[3] ويظهر ان الاستاذ زيدان يذهب في هذه العبارة الى ان ابن عبد ربه نقل عن ترجمات هذه الكتب، لا عن الاصول اليونانية والهندية والفارسية. ولكن هذه الترجمات عرفت عند العرب قبل زمن ابن عبد ربه، وقد سبق المشارقة الى النقل عنها قبله، ونخص بالذكر الجاحظ وابن قتيبة فقد نقلا عن بعض كتب ابن المقفع وعن بعض الكتب المنقولة عن اليونانية والهندية. واذًا فقد اقتصر ابن عبد ربه فيما جمعه على ما عرفه العرب في المشرق. ولا نظن ان الاستاذ زيدان يرى ان ابن عبد ربه نقل عن الاصول مباشرة، كما يظهر من قول ابن عبد ربه الذي اشار اليه الاستاذ زيدان[4]: «وفي كتاب للهند» او «وفي كتب ارسطوطاليس». لان هذه الاخبار منقولة عن ابن قتيبة او عن الجاحظ. واذا رأينا كثرة ما نقله ابن عبد ربه عن ابن قتيبة ادركنا سهولة اخذه مثل هذه الاخبار مع اسانيدها كأن يقول مثلاً: «وفي كتاب للهند ان كذا الخ»[5] فيوردها بالحرف كما اوردها ابن

---

١) ابن عبد ربه ٣: ١٢١

٢) « « ٢: ٢٢، و٣: ١٢٢ ٣) زيدان ٢: ١٧٤

٤) لاحظ قول زيدان: «وهو يشير الى ذلك في كلامه» في القطعة التي نقلناها عنه.

٥) ابن عبد ربه ١: ٨٠ [وليلاحظ ان هذه المواضع التي يذكر فيها اخباره عن كتب الهند قد ادخلها في كتابيه السلطان والحروب اللذين اكثر فيها النقل عن ابن قتيبة].

قتيبة نفسه: «وقرأتُ في كتاب للهند ان كذا الخ»[١]. وربما من الخير الّا نجزم في ان ابن عبد ربه لم يطلع على الترجمات الاصلية من كتب ابن المقفع وغيره لاسيما كتب الروم، فقد قال في عقده: «وقرأت في كتاب للروم»[٢].

اما اخباره المنقولة عن التوراة والانجيل، وبالاخص الاخير منهما، فانا نرجح ايضاً انه نقلها عن ابن قتيبة الذي ذكرها في عيون اخباره في باب الزهد. ولقد وضعها ابن عبد ربه في عقده في كتاب الزمردة في المواعظ والزهد[٣]. غير انه اكتفى بالقليل مما نقله ابن قتيبة عن التوراة والانجيل. ويظهر ان الاخيرين — رغم ما يقال عن احتكاك نصارى الاندلس بمسلميها وشغفهم في قرطبة بدرس اللغة العربية وآدابها وعلومها — لم يترجما الى العربية في تلك البلاد، او انها ترجما ولم يصلا الى ايدي العلماء المسلمين بحيث يستطيع اديب مثل ابن عبد ربه ان ينقل عنها مباشرة ويكون في غنى عن الاستناد الى ابن قتيبة. ومها يكن من الامر فان ابن قتيبة هو صاحب الفضل الاول في ذكر هذه الاقسام الصغيرة من التوراة والانجيل باللغة العربية، ويظهر من كلامه انه قرأ بعضها في نسخ عربية[٤].

القرآن والحديث

بقي القرآن والحديث ففي العقد منهما شيء كثير، وبالاخص الحديث ففيه منه طائفة ليست بيسيرة منتثرة في كل اجزائه. وقد ذكر ابن عبد ربه هذه الاحاديث دون ذكر الكتب التي قد يمكن ان يكون اخذها عنها. غير انه

---

١) ابن قتيبة ١: ١١٢

٢) ابن عبد ربه ٣: ٢٥٤، وراجع ٣: ٤٢٠ تر: «وفي بعض الكتب المترجمة».

٣) قابل بين ابن عبد ربه ١: ٢٥٦ و٢٥٧ سطر ٢٩، و٢٥٧ سطر ٢، و٢٥٨ وبين ابن قتيبة ٢: ٢٦٨ و٢٦٦، و٢٧٥ — ٢٧٦ و٢٧٦ ويرى القارئ انه حيث يذكر ابن قتيبة التوراة يذكرها ابن عبد ربه، وحيث يسند ابن قتيبة اخباره هذه الى مثل وهب بن منبه او غيره يسندها ابن عبد ربه اليهم.

٤) ابن قتيبة ٢: ٢٧٠ وقرأت في الانجيل: «لا تجعلوا كنوزكم في الارض حيث يفسدها السوس» الخ.

رجع في عقده الى «وطأ مالك بن انس»[١] الـذي كان معروفاً في الاندلس يوم ذاك . واذا ذكرنا ان ابن عبد ربه من الفقهاء ادركنا سهولة حفظه لكثير من الاحاديث بحيث يستشهد فيها بعقده دون الرجوع الى الكتب التي دونتها .

الدواوين الشعرية

اما الدواوين الشعرية التي يمكنه ان يكون قد رجع اليها فـلا نستطيع معرفتها او ضبطها او حصرها لاسيما وهو يدوّن في العقد اشعاراً لاكثر من مئتي شاعر لا نعلم من اين اخذها . انا لا نشكّ في انه كان على اطلاع على شعر اهمّ الشعراء المتقدمين في المشرق كجرير ، والفرزدق ، والاخطـل ، وابن ابي ربيعة ، وابي نؤاس ، وابي تمام ، ومسلم ، وابي العتاهية وغيرهم .

الخشني وابن وضاح وابن مخلد

ولم يفت صاحب العقد ان يدوّن بعض الامور عن اساتـذته في الاندلس الذين ذكرهم ابن الفرضي : الخشني ، وابن وضّاح ، وبقي بن مخلد[٢] . وقد اخذ عن هؤلاء نتفاً من الاخبار عن العلماء والادباء في المشرق ، وشيئاً من آراء بعض الائمة بخصوص النبيذ وشربه ، وقليلاً من اخبار امراء الاندلس الـذين تقدموه ولم يدركوا عصره . وقد اشار الى انه اخذ عن هؤلاء في عدة مواضع[٣] وقد كان احد هؤلاء الخشني محمد بن عبد السلام من قرطبة ، وكانت له رحلة الى المشرق ودخل البصرة وسمع من علمائها ولقي بها ابا حاتم السجستاني ، والعباس ابن الفرج ، والرياشي ، وابا اسحق الزيادي ، واخذ عنهم كثيراً من كتب اللغة روايةً عن الاصمعي وغيره ، ودخل بغداد ، وحجّ مكة ، وادخل الانـدلس كثيراً من حديث الائمة وكثيراً من كتب اللغة والشعر الجاهلي ومـات سنة ٢٨٦ هـ »[٤] .

---

١) ابن عبد ربه ٣ : ٣٤٨ و٤١٥   ٢) ابن الفرضي ١ : ٣٧

٣) ابن عبـد ربه ١ : ٢٠٤ و٢٤١ و٢٥٢ ؛ ٢ : ٥٦ و٢٦٠ ؛ ٣ : ١١٩ و٤١٦ وغيرها وفي ابن عبد ربه ١ : ٢٠٤ . أملى ابو عبدالله محمد بن عبد السلام الحسنى (كذا) وفي ٢ : ٢٦٠ : حدّث بقي بن محمد (كذا) وكلاهما تحريف عن الخشني ومخلد .

٤) السيوطي ٦٧

واما بقيّ بن مخلد بن يزيد القرطبي فقد ذكر عنه ، نقلاً عن ابن حزم ، انه صاحب التآليف التي لم يؤلف مثلها في الاسلام ، وانه لقي ٢٨٤ شيخاً[١]. وذكر في موضع آخر ان ابن حزم قال: « اقطع انه لم يؤلف في الاسلام مثل تفسيره لا تفسير محمد بن جرير ولا غيره»[٢]. وقد انكر عليه بعض علماء الاندلس بعض التصانيف التي نقلها من المشرق ، لاسيما مصنف ابن ابي شيبة غير ان الامير محمد بن عبد الرحمن الاموي امتحن الكتاب ثم قال لخازن كتبه: « هذا الكتاب لا تستغني خزانتنا عنه فانظر في نسخه لنا.» وقال لبقي: « انشر علمك وارو ما عندك ». ونهاهم ان يتعرضوا له[٤] . وذكر المقرّي عن ابن حزم ايضاً ان تصانيف بقي صارت قواعد الاسلام لا نظير لها ، وانه كان متخيراً لا يقلد احداً[٥] . وذكر في موضع آخر ان بقيًا هذا طاف المشرق عراقه وشامه وحجازه[٦] وتوفي بقي سنة ٢٧٦ هـ[٧].

اما ابن وضاح فقد ذكر ابن ابار صاحب التكملة اسماء كثيرين ممن لزموه ورووا او اخذوا عنه[٨]. ويظهر انه كان في قرطبة ايضاً اذ ان المقري يذكر عن قاسم بن اصبغ البياني احد علماء الاندلس انه سمع بقرطبة من بقي ابن مخلد ومحمد بن وضاح[٩].

واذا عرفنا ان كثيراً من الاخبار التي دونها ابن عبد ربه في عقده عن ادباء المشرق ورواياتهم وعلومهم لم يذكر اسنادها ، وان الخشني وبقيًا استاذيه قد نقلا كثيراً من هذه الاخبار الى الاندلس ، ادركنا كثرة ما يمكن ان يكون قد اخذه عنهما ودوّنه بعقده .

(للبحث صلة)

---

١) المقري ١ : ٥٨٩ ، يذكر ان عدد شيوخه ٢٢٤

٢) المقّري ١ : ٢٥٠ ، و٢ : ٧٧١ ٣) المقّري ١ : ٥٩٠ و٢ : ٧٧١

٤) المقّري ١ : ٥٩ ، ويظهر ان بقيًا لم ينسَ صنيع محمد معه فقد حدّث ابن عبد ربه مادحاً اياه وقال له: « ما كلمت احداً من الملوك أكمل عقلاً ولا ابلغ لفظاً من الامير محمد» الخ (ابن عبد ربه ٢ : ٢٦٠) ٥) المقّري ١ : ٥٩٠ و٢ : ٧٧١

٦) المقّري ، طبع اوربة سنة ١٨٥٥ -. ١٨٦٠ ، ١ : ٨١٢ ٧) المقري ١ : ٥٨٩

٨) التكملة لكتاب الصلة لابن ابار ، طبعة المطبعة الشرقية بالجزائر ١٣٣٧ هـ ١٩١٩ م ص ١٢ و١٤ و١٦١ و١٦٥ و١٨٥ ٩) المقّري ١ : ٢٥٠

الامثال والاساطير اللبنانية

المختصة باشهر السنة الشمسية

بقلم لحد خاطر

١

تمهيد

الفائدة من تدوين هذه الاساطير

يتناقل اللبنانيون في احاديثهم عن اشهر السنة الشمسية وما يتعلق بها عبارات واساطير عامية تجري على السنتهم مجرى الامثال والشواهد ، توارثوها خلفاً عن سلف من اجيال متفاوتة ، وهي موضوعة في الاصل لحكمة او موعظة بعد طول تجربة وخبرة ، فكانت ثمرة الكد والملاحظة وزبدة الذكاء والفطنة وسعة الاطلاع في مختلف الشؤون العمرانية ، ولاسيما الزراعة والصناعة وتربية الماشية واحوال الفلك وقواعد علم الصحة ونحو ذلك مما له علاقة بالحياة الشعبية اليومية في لبنان . لذلك رأيناها تقوى على غير الايام وتجتاز الأجيال مصونة على صفائح الصدور حتى وصلت الينا .

على انها الان اصبحت تواجه خطراً يتهددها بالضياع والنسيان الا وهو خطر ما نشاهده يوماً بعد آخر من التطور الفكري الآخذ بالانتشار والحافز بابناء هذه البلاد الى ترك كل قديم من متروكات الآباء والاجداد ، حتى ما كان منها حسناً مفيداً . فلاجل دفع هذا الخطر اقبلتُ على تدوين هذه

الامثال والتعابير، وتعليق شروح عليها تقرب متناولها وتوضح رموزها ومدلولاتها ، وتزيل ما علق ببعضها من شوائب التحريف والتشويه تسهيلاً للانتفاع بها والاستعانة بطالعتها على استجلاء عدة نقاط اخلاقية من تاريخنا الوطني لا تزال غامضة بسبب قعود مؤرخينا القدماء عن بحثها وقصر ما كتبوه في مؤلفاتهم على اخبار الحكام وشؤون السياسة ، ممهداً للكلام عن كل شهر بكلمة عن معناه واصل وضعه ، مقدماً على الفصول لمحة تاريخية عن نشأة التقاويم وتطوراتها في سياق الاجيال . وهو بحث يرمي الى ابراز صورة حية للحياة الشعبية اللبنانية الصميمة التي كان عليها الآباء والجدود ، واستبقاء تلك المسحة الخاصة المزيدة لاستقلالنا الخلقي المعدود في رأس الادلة على ما كان لنا من كيان منفرد واستقلال اداري ممتاز في تاريخنا السياسي .

نشأة التقاويم وتطوراتها

بعد ان نشأ الانسان في صدر الخليقة رأى نفسه محتاجاً الى وسيلة يقيس بها الوقت فاستنبط لذلك السنين والاشهر . ويقدّر المفكرون ان اجتهاده في هذا السبيل قاده بادئ بدء الى الاعتماد على المظاهر الفلكية ، ولاسيما ما كان منها اكثر بروزاً كالقمر فانه رآه يسير على خطة واحدة في مختلف وجوهه وتتابع دوراته ، فاتخذ كلاً من تلك الدورات عقداً تاريخياً قائماً بنفسه سماه شهراً يؤيد ذلك معنى كلمة « شهر » فانه بالعبرانية ، احدى لغات الاقدمين ، « القمر الجديد » . وقد جاء في التوراة بهذا المعنى : « القمر نبأ الازمنة وعلامة الدهر . هو علامة العيد وباسمه سمي الشهر . » هذا الى ما تجده عند بعض الشعوب من التعبير عن الشهر والقمر بلفظ واحد .

ثم لوحظ ان هنالك دورات زمنية اخرى اطول من الاولى تشتمل على الفصول الاربعة وتجري تباعاً على وتيرة واحدة من غير تغيير ، فاتخذ كلٌّ منها عقداً تاريخياً آخر سمي « سنة » . ووجد ان القمر يدور في اثناء هذا العقد اثنتي عشرة دورة على التقريب فتقررت قسمته اثني عشر جزءاً قوام كل جزء قمرٌ واحد من مولده الى خفيته . وهذا بالارجح الاصل الاقرب في نشأة السنين

والاشهر في طورهما الاول ، ومنه يستدل على ان التقويم القمري كان اقدم في الاستنباط والاستعمال من التقويم الشمسي.

ولم يكن للاشهر والايام في الابتداء اسماء خاصة بل كانت تسمى بالاعداد الترتيبيَّة . فكانوا يقولون مثلًا : الشهر الاول والثاني والثالث الى آخر السنة، واليوم الاول والثاني والثالث الى آخر الشهر ، يؤيد ذلك نصوص الكتاب في اسفار موسى ، واسماء بعض الاشهر الرومانية التي وضعها روماوس ، باني رومية واول ملك عليها ، وهي : « سبتمبر واكتوبر ونوفمبر وديسمبر » فان معناها السابع والثامن والتاسع والعاشر.

وبعد مرور زمان لا يُعلم مقداره بالتدقيق اخذوا يطلقون على الاشهر اسماء خاصة تدل على بعض اوصافها وما يقع فيها من المميزات الطبيعية والمظاهر الجوية او ما يظهر فيها من الموارد الزراعية ، ثم سموا بعضها باسماء بعض الهتهم وملوكهم تيمناً وتكريماً ، وقد اختلفت هذه الاسماء باختلاف الشعوب والزمان والحوادث.

اما الاسماء التي يستعملها النصارى اللبنانيون ، بل سائر النصارى الناطقين باللغات السامية ، ولاسيما العربية ، في جهات العالم فمأخوذة عن اصل بابلي ، إما وراثةً عن الفينيقيين الذين يظن انهم اقتبسوها في رحلاتهم التجارية الى بابل ، وإما اخذًا عن غزاة البابليين انفسهم الذين كثيرًا ما شنوا الغارة على هذه البلاد ومدوا سلطانهم عليها ، وإما نقلًا عن العبرانيين الذين عادوا بتلك الاسماء من بابل بعد ان سبوا اليها. ومها يكن من امر انتقالها فانه لمن الغرابة بمكان ان تثبت تلك الاسماء البابلية على حالها من اقدم عصور التاريخ حتى اليوم برغم ما تبدل عليها في سياق الايام من التطورات والتقلبات السياسية والاجتماعية.

وقسم العبرانيون الشهر اربعة اقسام سموها اسابيع لان كلًا منها تألف من ٧ ايام ، وكان عدد ٧ من الاعداد المقدسة عندهم . ولا تزال ايام الاسبوع بالعربية ذات اسماء تشعر باصلها العددي الترتيبي فان الاحد والاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس ما هي الا الفاظ عدل بها عن اليوم الواحد او الاول والثاني والثالث والرابع والخامس. وليست هذه الاسماء كذلك في بعض اللغات الاوربية

لان الناطقين بهذه اللغات اخذوها عن اسماء الاسبوع عند قدماء المصريين الذين كانوا يخصون اليوم الاول بالشمس ، والثاني بالقمر ، والثالث بالمريخ ، والرابع بعطارد ، والخامس بالمشتري ، والسادس بالزهرة ، كما يظهر ذلك لمن تدبر معاني تلك الاسماء بالافرنسية مثلاً فان معنى « Lundi » يوم القمر ، و«Mardi» يوم المريخ الخ . . .

اما اليوم الاول فقد سمي بعد ظهور النصرانية عندهم بما معناه « يوم الرب» اكراماً لقيامة المخلص فيه . والسبت مأخوذ عن العبرانية ومعناه «يوم الراحة »

ولم يكن التقويم القمري في بداءته بالتقويم السديد ، لانه جعل السنة مؤلفة على التقريب من ٣٥٤ يوماً ، وعلى ذلك اخذت الاشهر التي خُصّت بالصيف تتراجع كل سنة بعض ايام الى الوراء . الى ان حلّ محلها الربيع فسائر الفصول على التوالي . ممّا اضطرّ العلماء الى تدارك هذا الخطاء بجعل السنة شمسية اي تابعة للمدة التي تقضيها الشمس منذ تحولها عن نقطة الاعتدال الربيعي الى ان تعود اليها .

وهذا الحساب الشمسي الجديد جعل السنة ٣٦٥ يوماً، وهي في الصحيح اطول من ذلك بعض ساعات . فلما ملك الامبراطور يوليس قيصر من الرومانيين استقدم اليه في السنة ٤٦ قبل المسيح العالم الفلكي سوسيجنيس من مدينة الاسكندرية ، وعهد اليه في اصلاح الخلل المذكور . ففعل بان جعل السنة مؤلفة من ٣٦٥ يوماً وست ساعات . والف من هذه الساعات الست المزيدة يوماً كاملاً ارتأى اضافته في كل سنة رابعة على آخر شباط . وسمي الحساب المصلح على هذا النحو « باليولي » نسبةً الى اسم الامبراطور ، ويُعرف عندنا بالشرقي . ولا يزال فريق من طوائفنا المسيحية يجري عليه حتى اليوم .

بيد ان هذا الاصلاح لم يؤدِ الى كمال التقويم . لان واضعه اراد تلافي ما ظهر من نقصان في الحساب السابق ، فوقع في الزيادة . وتفصيل ذلك ان السنة الشمسية تتألف على الاصح من ٣٦٥ يوماً و ٥ ساعات و ٤٨ دقيقة و ٥٠ ثانية . فكان مقدار ما زاده الحساب اليولي كل سنة ١١ دقيقة و١٠ ثوانٍ . وقد ادت هذه الزيادة كل ١٢٩ سنة الى تأليف يوم كامل . وبقيت هذه الايام المزيدة

يضاف بعضها الى بعض فاصبحت عشرة بعد بضعة عشر قرناً .

وعندئذٍ اتفق ان السعيد الذكر البابا غريغوريوس الثالث عشر كشف هذا الخطأ . واصدر في السنة ١٥٨٢ منشوراً يقضي باصلاحه وذلك بان حذف الايام العشرة المزيدة . وامر بان يبقى الحساب اليولي على حاله ، على ان يحذف منه كل ١٢٩ سنة ذلك اليوم الذي كان يزيد سابقاً . وحسابه هذا يمد الاكمل حتى الآن وعليه يجري في هذا العصر السواد الاعظم في المعمور من جميع الجنسيات والمذاهب .

اما مدة السنة فلم تكن اثني عشر شهراً عند عامة الشعوب . بل تقلّبت عليها الاحوال فكانت عند فريق اربعة اشهر ، وعند غيرهم ستة ، وجعلها رومولوس عشرة تبتدئ من مارس (شهر المريخ) وتنتهي في دسمبر (الشهر العاشر) ثم زاد عليها نوماس پمپيليوس وقيل تركينيوس شهري جانوريوس وفبرووارس المقابلين لشهري كانون الثاني وشباط من شهورنا .

ووقع مثل ذلك التقلّب لمطلع السنة فكان عند الاقدمين زمن الاعتدال الربيعي الذي يقع عادة في ٢٥ ايلول ، واختاروه لذلك لانهم رأوا الحصاد وقطف الثمار وجمعها تنتهي فيه ويبدأ بعده بالقاء البذار للسنة الجديدة ، وجعله آخرون زمن الاعتدال الربيعي الذي يقع عادةً في آذار ، وذلك لانهم رأوا الطبيعة تتجدد فيه مستأنفة الحياة . وجعله غيرهم قلب الصيف زمن الغلال وحصد الزروع . وجعله المسيحيون حيناً في عيد الميلاد ، وحيناً آخر في عيد الفصح ، باعتبار تجدد العالم بميلاد المخلص وقيامته . وكان احد اباطرة الرومان جعل مطلع العام في السنة ١٥٣ قبل المسيح اول شهر جانوريوس المقابل لكانون الثاني . فلم تلبث الممالك ان تبعت هذا الحساب رويداً رويداً الى ان عمّ استعماله في اوربة في اواسط القرن الثامن عشر . ومنها انتشر في العالم حتى كاد يعمه باسره في هذا العصر .

الكانونان الاول والثاني

قلما تميز الامثال والتقاليد العامية بين هذين الشهرين الحاملين اسماً واحداً، فآثرنا الكلام عنهما في فصل واحد.

كانون لفظة بابلية معناها «فصل الشتاء». والكانون في السريانية «مستوقد النار». ويأتي فيها بمعنى الحبوب من عدس وحمص وفول وما شاكل. والكانون في العربية الرجل الثقيل. ولعلهم اطلقوه على هذين الشهرين لما شاهدوه فيهما من ثقل البرد وصعوبة الحركة.

اما الاول منهما فيبدأ فصل الشتاء في ٢١ منه، ويقال ان الشمس تدخل حينذاك في برج الجدي. وله القاب منها «الشائب» وشهر الجليد والصقيع، وشهر الدخان، والشهر المقدس» واسمه الافرنجي «دسمبر» من «ديسم» اللاتينية بمعنى العاشر.

وفي كانون الثاني تنتقل الشمس الى برج الدلو. ويصوّره الافرنج بهيئة شيخ مسنّ يسير متثاقلاً، وقد حمل على ظهره زنبيلاً شحنه بالالعاب ليقدمها هدايا لصغار الاولاد بمناسبة عيد رأس السنة الواقع في اوله. يقابله في الافرنسية «جانفيه» من «جانوريوس» اللاتينية المأخوذة من «جانوس» وهو اسم اله روماني ذي وجهين، يرمزون بهما الى انه يودّع السنة الماضية باحدهما ويستقبل الآتية بالآخر. ويصوّرون هذا الاله بهيئة رجل واقف، وفي احدى يديه عصا، ووجهاه ينظران الى جهتين مختلفتين. وفي ذلك مغزى لطيف يشير الى ما يجب ان يفعله المرء في اول العام من التطلع الى الماضي والمستقبل متخذاً العظات منهما لاصلاح شؤونه.

***

اما كانون في لبنان فتكون اوراق الاشجار قد تناثرت فيه بتأثير البرد، واصبحت الارض جرداء خالية من الخضرة، ذات منظر كئيب، فتقول العامة في ذلك: «كانون الاجرد خلّا الشجر امرد». ولكن هناك اشجاراً تحتفظ بورقها

ولا يؤثر فيها برد كانون اخصها السنديان والصنوبر والزيتون فيقولون فيها : «كل الاشجار تتعرّى في كانون ما عدا العفص والصنوبر والزيتون .»

ويشتدّ البرد في كانون ، وتتساقط الثلوج ، فيمتنع النـاس من الزيارات والاسفار والسعي في سبيل الرزق وامتيار المآكل . ولهم في ذلك اقوال يتناقلونها تنبّه الناس الى ضرورة ادّخار المؤن والملابس والوقود لمثل هذا الفصل البارد ، والى وجوب الاقامة فيه داخل البيوت الى جانب النيران وعدم التعرّض لاخطار الدنق والامراض بركوب متن الاسفار ، من ذلك قولهم :

« بين المواليـد والقلندس (عيد الميلاد وعيد راس السنة) عند جارك لا تقرفص ، وان قرفصت لا تباتْ، يصبح عليك الثلج قامات »

وقولهم الآخر : « بين الغطاس والميلادي (عيد الميلاد) اياك تسافر يا غادي »

و« في كانون كثّر النار في الكانون » للاستدفاء بها دفعاً لاذى البرد .

و« في كانون كنّ ، وعلى الفقير حنّ » . اي لازم منزلـك مستكناً لان الامطار تعرقل مساعيك وتعرضك للاخطار واعطِ الفقير الذي تسوء حاله في هذا الفصل البارد العاطل من العمل والحركة .

و« في كانون كنّ ببيتك جوّات ملحك وزيتك . » اي اجلس في بيتك قريباً مما عندك من المؤن .

و« بين المواليد والدنوح (عيد الغطاس) عند جـارك لا تروح ، وان رحت خذ زوادتك معك . » لان الامطار والثلوج قد تعيقك عن الرجوع فتحتاج الى الطعام .

و« في كانون الصمّ ، اقعد في بيتك واحتمّ . » ويقول غيرهم : « اقعد في بيتك وانطمّ . » ومعنى احتمّ الزم الدفء، وانطم اي غطّ نفسك بالدثر دفعاً للبرد .

وتهبّ الاعاصير الشديدة الهوجاء في كانون فتقتلع الاشجار وتهدم المنـازل وتقول العامة عنها : « رياح كانون شيبت النسور في الجو » والنسور يطول شبابها ولا تهرم . ولكن رياح كانون العنيفة بلتها على زعمهم بالشيب لفرط ما دفعتها اليه من الاهوال والاخطار التي جاءتها بالشيب قبل اوانه .

وتكون ليالي كانون عادة ذات عتمة شديدة فيضرب اللبنانيون فيها المثل .

ومن اقوالهم فيها: «عتمة كانون اذا مدّ الانسان فيها اصبعه لا يراها». و«عتمة كانون لا يعرف الذئب فيها مرقده» اي لا يهتدي اليه.

ويروون في مسامراتهم ان الذئب والفرس تناظرا في ايهما احد بصرًا فقال الذئب: «رأيت شعرة سوداء بارض شعّار في عتمة كانون من مسافة اربع ساعات». وقالت الفرس: «رأيت شعرة بيضاء في صحن لبن على قوزة ثلج في قمرة تشرين»

وجاء في امثالهم بهذا المعنى: «ما في انقى من قمرة تشرين ولا اظلم (اشد ظلامًا) من عتمة كانون»

وفي اول العقد الثالث من كانون الاول يكون الانقلاب الشمسي وهو غاية طول الليل وقصر النهار. ولكن العامة تجعل ذلك في ٤ منه، يوم عيد البربارة، وتقول في ذلك: «في عيد البربارة بياخذ النهار من الليل قدر نطة الفارة»

وتتفجر الينابيع في هذا الشهر فيقولون في ذلك: «في عيد البربارة بتطلع الماء من وكر الفارة.» اي لا يبقى مكان خاليًا من الماء.

والهواء الشرقي في كانون نذير الثلج ومن اقوالهم في ذلك: «شرقي الكوانين ثلج.» على ان الهواء الشرقي اذا هب في الشهور الاخرى كان نذير الحر والنشوفة ويعرف عندهم « بالشاوق»

ويستدلون من رعد كانون على تساقط الثلوج في شباط ويقولون في ذلك: «كل رعدة بكانون ثلجة في شباط»

وتتكاثف الغيوم في كانون فتحجب الشمس وتجعل الناس ييأسون من ظهورها ثانية لطول ايام احتجابها، ويروون رواية تزيد ذلك موجزها: ان اعرابيًا جاء الى لبنان في شهر الحصاد وخبر حرارة شمسه. فلما جاء كانون وقرس البرد اخذ يرقب الشمس فلم يرها فسأل احدهم قائلًا: «يا اخا العرب هل شمس الحصيدة تعود؟» اجابه نعم تعود. قال البدوي: «والله لو عادت ما تعود حرارتها.» اي انه لشدة ما ناله من البرد ولطول احتجاب الشمس عنه اصبح يائسًا من عود تلك الحرارة التي رآها في الصيف السابق.

ويبدأ اللبنانيون من كانون الاول بغرس نضوب الاشجار على اختلافها.

واقد عرفوا بطول الاختبار ، وبما تعلموه عن اسلافهم ، ان النصوب التي تغرس في أول الشتاء تفوق بنموها وغضارتها النصوب التي تغرس في آخره . لذلك يقولون في إمثالهم : « نصبة كانون الاول خير من نصبة عام اول » يريدون بذلك ان النصبة المغروسة في كانون الاول من السنة الجارية تفضل النصبة المغروسة في شهر آخر متأخر من السنة التي قبلها ويقولون ايضاً : « نصبة كانون الثاني قوام بتصير تالي . » ومعناه النصبة التي تغرس في كانون الثاني لا تلبث ان تصير جسراً تسقف به المنازل ، ومن اقوالهم بهذا المعنى : « احسن زراعة في القطاعة . » اي قطاعة الميلاد من ١٣ الى ٢٤ كانون الاول ، وقولهم : « الاشجار الضخمة لا تروى الا من مطر كانون » لانه يكون عادة اغزر امطار الشتاء . وكانون عندهم « فحل الشتاء . » اي ان الارض لا تعطي الغلال الوفيرة اذا لم ترو كفاية في كانون .

وفي كانون يشحلون الزيتون ، ويزرعون منه النصوب . ويروون ان اميراً مرّ بشيخ لبناني فرآه يزرع الزيتون في برد كانون فاعجب بهذا الرجل العاجز يكلف نفسه مثل هذا العناء ، ويزرع شجراً لايثمر الا بعد سنين طويلة يكون فيها الزارع قد صار في عالم الابدية ، فسأله عن ذلك فقال : « ايها الامير اورثنا من قبلنا ونحن نورث من بعدنا . » فامر له الامير بصلة . قال الشيخ : « ايها الامير قلت ان هذا الشجر غير معجل الغلة وقد شاء الله ان يغل في سنته الاولى » فضحك الامير وامر له بصلة ثانية . فقال الشيخ : « وقد اعطى غلتين . » فمضى الامير وهو معجب بحكمة الشيخ وهمته . ومثل هذا الشيخ كثير ، والحمد لله ، بين شيوخ لبنان .

(للكلام صلة)

حول «الشعر والشعراء»

بقلم فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

توطئة

ليس المقصودُ «بالشعر والشعراء» كتابَ ابن قتيبة النقّاد القديم المعروف. انما هو كتاب جديد[1] ألفه نقّاد لبناني معاصر في الشعر والشعراء المعاصرين، واصدره من زاوية عزلته في احد سجون المكسيك، فنشرته على العالم العربي جريدة الهدى النيويوركية. ظهر الكتاب اولًا مقالات متتابعة احدثت شيئًا من الارتياح الممزوج بالاعجاب في قلوب البعض، وشيئًا من الانقباض المختلط بالقلق في قلوب البعض الآخر، اذ رأوا فيها جرأة لم يتعوّدوها، ووجهةً في النظر لا هي بالقديمة التقليدية ولا هي بالجديدة الصرفة. فكان ان من اعتبروا الكتاب اولًا ملهاة ادبية لا بأس ان يلهو بتركيبها من ارغم على اعتزال الناس، ولا بأس ان يطلع عليها من تروقهم مظاهر الادب، اعادوا النظر فيه مدققين فرأوا آراء وملاحظات قد يجدر بالاديب ان يتنبه لها، ويتوقف عند بعضها. وكان ان توفي ثلاثة من الشعراء الذين يذكرهم الناقد دارساً شاعريتهم، وهم محبوب الخوري الشرتوني (٢٧ حزيران ١٩٣١) وحافظ ابراهيم (٢١ تموز ١٩٣٢) واحمد شوقي (١٣ تشرين الاول

---

١) الشعر والشعراء: فصول انتقادية ادبية بقلم خليل ضاهر. نُشرت تباعًا في جريدة الهدى بتوقيع «ابن جنّي» – مطبعة الهدى اليومية في بروكلن، نيويرك، سنة ١٩٣١، ٢٠٠ صفحة متوسطة.

١٩٣٢). فاصبح من المفيد ان تُعرف احكام المؤلف فيهم، وهم احياء، فتُعرض الى جنب الاقوال الكثيرة المتباينة التي تتابعت، ولما تزل، على صفحات الجرائد والمجلات منذ وفاتهم، ولاسيما منذ وفاة الاخير منهم. وكان من احكام الظروف ان الكتاب لم ينتشر الانتشار الكافي في بلادنا الشرقية. فرأينا ان نعرض له فنجتهد في استخراج روح كاتبه، ووجهة نظره في الحكم على معاصريه من الشعراء، وذلك على طريقة موضوعية بحتة، محتفظين بحقّ تعليق بعض الملاحظات على الاحكام المختلفة.

يمثل المؤلف مذهباً في النقد نعتقد ان من المفيد تحديده والاطلاع عليه، لانه مذهب انتقالي قد يصبح من الصعب ان نرى كثيراً من ممثليه في المستقبل. هو مذهب انتقالي في الثقافة الادبية ولاسيما الشعرية منها: انتقالي باختياره الشعراء الذين كانت تدور اسماؤهم على الالسنة، لعشرين سنة خلت، في الاندية اللبنانية خصوصاً؛ انتقالي باعراضه عن غيرهم من المعاصرين الذين لم ينبغوا الّا بعد الحرب الكبرى؛ انتقالي بطريقة تذوّقه اولئك الشعراء، وتحليل مواهبهم؛ انتقالي بنوعية حكمهم عليهم ناظراً خصوصاً الى ما يدعوه «بالصناعة الشعرية». وهكذا فاننا نرى الناقد يستند من اسلوب الاقدمين الى التحاليل البيانية على انواعها وما تجرّه من مآخذ يتعلّق اكثرها بالصناعة المذكورة، ويستند من اسلوب المحدثين الى تعليل هذه المآخذ المتنوّعة والى شيء من تقدير معنوية الشعر المنقود. يضيف الى ذلك فطرةً نقدية لا بأس بها، وجرأة تروق كل من يطالعه مجرّداً عن الاهواء. الّا انه لا يصل من كل هذه العناصر النقدية الى اسلوب متماسك الاجزاء، واضح الرسوم، ذي وحدة ادبية ماثلة المظاهر. انما الكتاب اشبه بتعاليق متنوّعة من بيانية لفظاً ومعنًى، وعروضية، ولغوية، ونحوية، وتاريخية ايضاً على كثير من شعر المعاصرين، تعاليق مفيدة بافرادها، ولكنها، مجموعةً، لا تؤلف تلك الوحدة الضرورية التي اشرنا اليها. ولعلّ لوجود الكاتب بعيداً عن كل مرجع ادبي « حيث لا كتاب ثقة يُركن اليه او ديوان شعر يُستعان به»[1]،

١) الكتاب: ص: ١

ولكونه كتب فصوله دون سابق تصميم فلم يُقدّر ما سوف يتسع له الكلام حتى انه شعر ببعض النقص» فلم يجد بعدئذٍ من سبيل الى الزيادة على ما كان قد نُقِد ونُشر على صفحات «الهدى»[1]؛ لعلّ لكلّ هذا تأثيراً في ما نراه من نقص تأليفي في كتابٍ دلّ على جهد بليغ واطلاع واسع اذ كان ثمرة «ما بلغت اليه الطاقة بين الفرار من السكينة واليسير من فتور اختلاجات النفس.»[2]

يتضمن الكتاب دروساً متنوّعة في عشرة من اشهر شعراء العصر المتداولة اسماؤهم منذ اكثر من عشرين سنة، متفرّقين في مصر ولبنان والعراق وديار المهجر، منهم من استراح من متاعب الدنيا، كما قدمنا، ولكنهم لم يخلصوا من متاعب النقد، ومنهم من لا يزال حاملاً نصيبه من هموم هذه الحياة وما تجره من مشقات حتى في محيط الادب. ولما لم يكن في الكتاب من تصميم مقرّر رأينا ان نقسم درسنا الى ثلاثة اقسام نعرض في اولها لآراء الناقد في شعراء مصر، وبهم يبدأ كتابه، ونفرد الثاني لشعراء الوطن، خاصين الثالث بكلمة نقولها عن شعراء المهجر.

١

شعراء مصر

شوقي — حافظ — المطران

يبدأ الاديب خليل ظاهر نقده بذكر شوقي فيخصّ به نحو ربع الكتاب، تاركاً الثلاثة الارباع للشعراء التسعة الباقين. تسيّره في كل ذلك عاطفة الاعجاب والاكبار. وهذا كله من ثمار تلك الثقافة الانتقالية التي كانت تفرض على اربابها الاعجاب بالشاعر المصري الكبير، وتقدر سائر الشعراء بالنسبة اليه. فشوقي، في نظر صاحب الكتاب، «الشاعر العظيم»، و«الشاعر الفذ»، و«صاحب العقل الفرّار الذكاء»، و«اشعر المتقدمين والمتأخرين اذا نُظر في صفات شعره

١) الكتاب: ص: ز

٢) الكتاب: ص: ح

نظرة اجمالية » ، بل هو « امير الشعراء وحامل لوائهم » ، يقول ذلك جاداً ويستشهد عليه بقول حافظ ابراهيم اذ « وقف في مهرجان شوقي وبايعه الامارة » على قول الجرائد ، فقال :

امير القوافي ، قد أتيتُ مبايعاً : وهذي وفود الشرق قد بايعت معي !

ويستشهد ايضاً بغير ذلك من الاقوال ، حتى يكاد يجعل من شوقي مثالاً اعلى للشعر في كل زمان ومكان . ومن المفكه في ذلك أنه ذكر ، في ما خصّ حافظ ابراهيم وخليل مطران ، حكم احد النابهين المتبصرين القائل : « لو استطعنا المجيء بشاعر واحد من حافظ ومطران – الاول بمبانيه والثاني بمعانيه – لاخرجنا الى العربية شاعراً نباهي به الغرب .» ذكر الناقد هذا الحكم فاقرّ « حقيقته الراهنة » ، ولكنه احتاط له بقوله : « لكن يجب علينا ان نستثني شوقي . ولعل الحسيب الاديب اراد القول انه لو وجد هذا الشاعر لنازع شوقي الامارة .» [1] (كذا !)

ويمضي الناقد في تعداد حسنات شوقي ، مشيراً الى انه كان « ككل شاعر في بداية معالجته النظم ينسج على منوال من تقدمه من الشعراء المبرّزين متحدياً اقربهم الى ذوقه .» وانه كان ، في اوائل شعره ، « ينهج نهج ابي الطيّب . وليست قصيدته في الحرب التركية اللبنانية الّا قصاصة من شعر المتنبي .» ولكن لا تتقدم السنّ بشوقي حتى يصبح الشاعر الشخصي المبتكر فيظهر الفرق لمن « نظر في شعره القديم وشعره الحديث . ولا بدع فهي سنّة التطور والارتقاء . بالرغم من ان له وثبات في ذلك الوقت قلّما يتوفّق اليها اليوم .» [2] وهذه الملاحظة الاخيرة على قسط وافر من الصحة يتحقّقه كل من تابع شعر شوقي في سنواته الاخيرة . ثم يذكر من تلك الروائع الهمزية التي انشدها الشاعر في المؤتمر الشرقي الدولي ، و« خدعوها » « التي لم يصل اليها شاعر » ، والقافية في دمشق ، ومعارضة البُردة ، والناقد يفضل مطلعها على مطلع « البردة » ، والبائية التي يخاطب فيها النبي ، والنونية في زحلة ، ومراثيه في سعد زغلول ، واسماعيل صبري ، ومصطفى كامل ،

---

١) الكتاب : ص ٥١

٢) الكتاب : ص ٦

والمنفلوطي . والناقد يعجب — وحقّ له الاعجاب — بالميمية في رثاء ادرنه « اخت الاندلس .» فيبين حسناتها من دقة وصف ، وصدق تمثيل ، وبلاغة تعبير ، وجدة ديباجة ، ورنة موسيقى واستنهاض للهمم ، وتفنن بايراد الحكم ، كل ذلك في تنسيق محكم . حتى انك « لا تجد بين ما نظمه المتقدّمون قصيدة تناسبت ابياتها كهذه بحيث انك لو اردت الاشارة الى حسناتها لاضطررت الى ابرازها برمتها . وهي وان لم تكن احسن ما نظمه شوقي فانها من عيون الشعر الخالد من تليد وطارف .»[١] ويقابل بين هذه القصيدة والبائية في وصف مواقع الحرب التركية اليونانية:

بسيفك يعلو الحقّ والحقّ اغلبُ وينصر دين الله ايّان تضربُ

فيرى سموّ الاولى وضعف هذه التي « لم يخرج فيها ، على بلاغتها وتفننه في الوصف ، عن طريقة من تقدّمه من حيث التشابيه والاستعارات والغلو البياني .»[٢] وقد كان بامكان الناقد ان يُلحق بهذه البائية بائية ثانية نظمها شوقي في انتصار مصطفى كمال على اليونان فسار فيها على اثر ابي تمام ، سيره في الاولى على اثر المتنبي ، كما يقول الناقد . واغرق فيها في التلاعب اللفظي حتى ادرك الجناس المضحك بقوله عن اليونان:

ما كان ماء سقاريا سوى سقرٍ طغت فاغرقت الاغريق في اللهبِ
لما انبرت نارها تبغيهم حطباً كانت قيادتهم حمالة الحطبِ

والغريب انه لا يزال بين ادباء مصر حتى اليوم من يزعم ان هـذا من « الجديد الجيّد » ومن « الشعر الفاخر .»[٣]

ولا يقف صاحب الكتاب عند هذا الحدّ في ذكر حسنات شوقي الا لانه « لم يستعن بغير الذاكرة .» وهو ينصح لطلّاب الشعر والمتأدبين ان يرجعوا الى الديوان « ففيه من المعجزات ما لا نهاية له في الحسن فضلاً عن جلائل قلائده التي لم تنشر بعد .»[٤]

---

١) الكتاب : ص ١٤—١٥
٢) الكتاب : ص ١٣
٣) عبّاس الجمل : في جريدة « الكشّاف » ، مصر ، بتاريخ ١٦ ايلول ١٩٢٧
٤) الكتاب : ص ٢٨

ولما كان النقد الصحيح الصريح، والكاتب يأخذ به اشدّ الاخذ، يقضي بذكر السيئات قضاءه بذكر الحسنات، دُفع الاديب الى مواجهة نقائص شاعره المفضّل . فوطأ لذلك بتوطئة لطيفة بدأها بالقول « ان لا عصمة الّا لله . . . وان صناعة الشعر ولاسيا العربي اكثر الاعمال مشقة . . . وان الرجل من تغلبت حسناته على سيئاته . . . » الخ رامياً بذلك الى « نفي الريب عن شاعرية شوقي لدى قليلي الاطلاع الذين يؤخذون باقوال هذا وذاك . » [1] والدفاع عن شوقي من الغايات الاساسية في تأليف الكتاب، كما يستنتج من المقدمة .

ثم يأخذ على « امير الشعراء » بعض الهفوات النحوية واللغوية والنقائص العروضية كسناد الردف « الكثير في شعره القديم .» على ان الناقد يخفف وطأة هذا الاخذ بقوله عن الشاعر : « ولعله يعرف ما لا نعرفه » . [2] ومما يأخذ عليه فيصيب كل الاصابة تلك المناقضات المعنوية والشطحات الفكرية التي تكثر في حِكَم شوقي، وبعض مقاطعه التاريخية، ومقابلاته عيسى بمحمد، والهلال بالصليب، والشيوخ بالحاخامين، وما اشبه من السفسطات والاضاليل . على انه في كل ذلك يفتّش عن مخرج لشاعره « الفذ .» ثم يلمّ بسرقات شوقي فيشير الى قسمٍ صالح منها دون ان يذكر اللفظة تأدّباً . وهو يدلّ في جميع ما تقدّم على اطّلاع واسع والى اعجاب مخلص بالشاعر الكبير .

ويختم كلامه « بسلام الله على النبوغ والعبقرية » [3] بعد ان ينحي باللائمة على شارح ديوان شوقي لاقتصاره على تفسير المفردات دون ذكر الافادات التاريخية اللازمة لفهم بعض الابيات، وهو يشفق، بكل اخلاص، من ان يأتي في الاجيال المقبلة من لا يفهم هذين البيتين :

ام بالكنائف حول الحقّ في بلدٍ ... من اربعين ينادي الويل والحربا
يا ربّ من مات في شرخ الشباب بها ... ومن قضى دونها جوعان مغتربا

---

١) الكتاب : ص ٢٩
٢) الكتاب : ص ٣١
٣) الكتاب : ص ٤٢

فيقول :

« وعنوان القصيدة مشروع ٢٨ فبراير – لا اثر فيه للسنة – ولا شرح لهذين البيتين البتة .

« فيجب اذن على من يقرأهما بعد مئات السنين ان يكون نبياً ليدرك ان المقصود في البيت الاول سنوات الاحتلال ، وفي المصراع الاول من البيت الثاني مصطفى كامل ، وفي الشطر الثاني محمد فريد رئيس الحزب الوطني من بعد الاول – والاخير منهما مات في المنفى . »(١)

قلنا : ومن يقرأ هذين البيتين بعد عشرات السنين ؟ فضلاً عن المئات . . . فليطمئن ادبينا بالاً !

***

بعد ان يقوم الناقد بواجبه نحو « الامير » يلتفت فلا يرى « في لائحة الامة الناطقة بالعربية من مرشح للاريكة بعد « الامير »(٢) سوى حافظ ابراهيم وخليل مطران . فيذكرهما بعد شوقي مجموعين في عنوان واحد ، مخصصاً لهما عشر صفحات .

اما حافظ ابرهيم فهو « نسيج وحده في فخامة مبانيه وفصاحة الفاظه » له « في الاجتماعيات مواقف مشهورة » حتى ان جرائد مصر اطلقت عليه لقب « شاعر الاجتماع »(٢) « وكثيراً ما يطرق ابواب السياسة والاجتماع معاً فيجيد ويطرب »(٣) بما خصه به الله من « براعة الاستهلال » . ثم يقسم الناقد الشعر الى قسمين : « قسم لتقرأه بنفسك ، والثاني لتسمعه يُلقى . وشعر حافظ من النوع الثاني ، وهو اشبه بموسيقى ذات خمسين بوقاً يرتج لها المكان بما فيه اثر كل ضربة . »(٤) حتى اذا طبعت القصيدة وتلاها المطالع منفردة يزول من نفسه ذاك الأثر . ويأخذ الناقد على حافظ بعض الهفوات التركيبية وبعض المناقضات المعنوية . ومن اللذيذ المفيد ان نلاحظ هنا انه كان قد اخذ كذلك على شوقي عدداً من هذه المناقضات المعنوية ، فكان حكمه على « امير الشعراء » ان

١) الكتاب : ص ٤٢–٤٣
٢) الكتاب : ص ٥١
٣) الكتاب : ص ٥٢
٤) الكتاب : ص ٥٥

ذلك «من الزلات المتفرة اذ لكل مقام مقال.»[١] وكان حكمه على حافظ ان «الشعراء في كل وادٍ يهيمون.»[٢] ...

واما خليل المطران «فابعد الشعراء مرمىً، واصحهم لغةً، شديد الحرص على قوانينها ولو توهم البعض مروقه من انظمتها. ينحو نحو شعراء الافرنج في ايثار المعنى على المبنى محتفظاً بطريقة العرب في التعبير دون ما نظر الى الرنة — وهي في كنه ضيره كالقشور بجانب اللباب — ولا تقرأ له كلمة لا تنطوي على كبير معنى، دقيق التصوّر، سامي الخيال.»[٣]

هذا خير اجمال لشاعرية المطران. وقد استشهد عليه الاديب بذكر وقفات لشاعر القطرين «كان فيها القرين القمن بان يسمى ثالث القمرين» يريد انه يستحق الرتبة الثالثة، بعد شوقي وحافظ. على ان وصفه الاعلى للمطران يؤهله لمنزلة اسمى مما يقصد الاديب. هذا وليس في الابيات التي استشهد بها ما يدل على انه اطّلع على النيرونيّة، وكان من حقه ان يسهب في وصفها، لو وقف عليها.

وعلى كلٍ فقد اعتذر المؤلف، في المقدمة، عن هذا التقصير بقوله انه «لم يكن في يده الّا القليل من منظومات حافظ والمطران ووديع عقل وبشاره الخوري.»[٤]

وسنعرض في العدد القادم لآراء الناقد في شعراء الوطن.

---

١) الكتاب: ص ٣٧
٢) الكتاب: ص ٥٣
٣) الكتاب: ص ٥٧
٤) الكتاب: ص ز

طاغية القرية

مأساة ذات فصلين

بقلم يوسف غصوب

اسماء الاشخاص

شهيد فتى لبناني في الثلاثين من عمره. هاجر الى البلاد الاجنبية (المكسيك) ثم عاد بعد غياب خمس عشرة سنة. حليق الشاربين. على وجهه كآبة وفي فمه شمم.

خليل الهاشم (ابو شهيد) رجل في الستين من عمره، متوسط القامة، غليظ الرأس، له شاربان ابيضان، وحاجبان كثيفان يشرفان على عينيه. وجهه متماسك، بارز الذقن. يلبس الطربوش المغربي عليه كوفية سوداء، ويرتدي سراويل وجمدانا كاللبنانيين منذ ثلاثين سنة. حركاته سريعة، وفي نطقه نبرة وغلظة.

مريم زوجة خليل. في الخمسين من عمرها، وجه رائق كئيب، وثياب سوداء بسيطة.

ليلى ابنة خليل. في الثانية والعشرين من عمرها، جميلة، شاحبة الوجه، عينان سوداوان، ومنطق عذب. ثياب بسيطة.

فارس فلاح لبناني.

شحاذ

مكارون

المسرح

دار لبنانية في احدى قرى الجبل. في صدر البيت، الى الجهة اليمنى منه، قنطرة تطلّ على الطريق وعلى القرية. يرى منها مناظر لبنانية كجبل مثلا واشجار صنوبر. وفي الجهة اليسرى باب ينفتح على غرفة يُصعد اليها بدرجتين. ثم في الجانب الايمن باب يؤدّي الى الخارج، وباب غرفة يقابلها في الجانب الايسر بابا غرفتين. في صحن الدار طاولة عليها قنديل وسكين، وعلى الارض سفط فيه ثياب. وعلى الجدار الايسر صورة للعذراء امامها، على رف، كباية زيت مضاءة.

تاريخ وقوع الحادثة حوالي سنة ١٩٠٠، في قرية من قرى لبنان.

الفصل الاول

المشهد الاول

مريم . ليلى

يُرفع الستار رويداً رويداً فتبدو مريم جالسةً الى الطاولة ، وهي ترقع ثياباً على ضوء القنديل ويُرى الى جانب القنطرة التي تطلّ على الطريق ليلى واقفة تنظر الى المارج حيث ضوء القمر ينير القرية ، وتصيخ الى صوت « القصب » الذي سُمع قبل رفع الستار من بعيد ، ثم تقارب ، ثم تباعد حتى تلاشى .

عندما ينقطع صوت القصب ، تنادي مريم ابنتها فترتعش كأنها افاقت من نوم .

مريم (تنادي ابنتها وهي ترقع) ليلى . . . (كأنّ ليلى لم تسمع . ترفع مريم رأسها وتناديها بصوت اعلى) يا ليلى . . .

ليلى أمي !

مريم قرّبي لي هذا السفط . . . ارفعي ضوء القنديل قليلاً (تنظر اليها فتراها حزينة) ماذا يا ولدي ! ؟ ما بكِ ! وجهكِ شاحب . . . وكأنَّ الدمع في عينيك !

ليلى لا شيء . .

مريم انظري اليَّ . . . ما بك ؟ قولي .

ليلى لا شيء . .

مريم متى كنتِ تكتمينني اسرارك ؟ قولي ، هل تشعرين بألم ؟ مجّي لك تكلّمي . تكلّمي ، قولي .

ليلى هواجس صبيانية يا أمي . ليس ما يدعو الى القلق .

مريم ما هي هذه الهواجس !

ليلى لا شيء . . . خففي روعك ، يا امي ، لا تشغلي بالك .

مريم الستُ انا امك يا بنيتي ، يا ولدي ، الست موضع سرك ؟ خبريني .

ليلى كنتُ عند المساء واقفة على سطح البيت ، امام البحر ، انظر الى بيروت . وكانت الشمس قد قاربت الغروب ، واذا بباخرة قد ظهرت

في الافق الاحمر البعيد كأنها نقطة سوداء . واخذت تدنو قليلاً فقليلاً ، ودخانها يرتفع في الفضاء ويرسم على صفحة السماء اشكالاً والواناً . وبينا انا اتأملها اذا بغراب كأنه انفصل من ذلك الدخان قد علا في الجو ، واقبل يرفّ بجناحيه السوداوين حتى اذا صار فوق رأسي انقضّ منحدراً وكاد ان يلمس حورة البستان . ونعق نعقات متوالية ، ثم عاد من حيث اتى .

مريم خرافات ، يا ولدي . هذه اوهام . اتعتقدين بمثل هذه الخافات ؟

ليلى وظلت الباخرة تشق عباب البحر حتى دخلت المرفأ ، وعيناي لا تتحولان عنها . . وقلبي منقبض كأن يداً حديدية تضغط عليه ، وهو لا يزال . . .

مريم (تحاول ان تبتسم) حقاً ، يا ليلى ، ان افكارك لا تزال صبيانية . دعي هذه الهواجس ، واجلسي قبالتي .

ليلى (الدمعة في عينيها) .

مريم يا ليلى ، ما هذا البكاء ؟ انسيتِ انك منهوكة القوى ، وان الحمى لم تفارقك الا من زمن قريب ! فأدنى تأثير يضرّ بصحتك .

ليلى (متابعة خيالها) ثم تصوّرت فتى امامي . . . خمس عشرة سنة . . . عينان زرقاوان . . . شعر اشقر متطاير في الهواء ، وجه ضحوك . . ذقن بارز . يأخذني بين يديه . وانا اذ ذاك كاللعبة فيرفعني فوق رأسه ويقبلني . . . أخي ، هو أخي . اين هو ؟

مريم الافضل ، يا ولدي ، ان تذهبي الى فراشك .

ليلى حدثيني عنه ، قولي لي اين هو ؟ . . . هاجر منذ زمان طويل . هاجر كما هاجر غيره . ولكنّ المهاجرين يكتبون لاهلهم . ولكن الكثيرين منهم يعودون من الوطن . اما هو فلا يكتب . اما هو فلا يذكر . لمَ هاجر اخي؟ نحن ، والحمد لله ، في بحبوحة من العيش تكاد القرية ان تكون لنا بجملتها .

مريم اسكتي ، يا ليلى . . . اذهبي لفراشك .

ليلى كلما رأيت الصبايا يتنزهن مع اخوانهن يضيق صدري ويتسارع الدمع الى عيني

مريم كفى يا ليلى ... انك تنكئين جرحاً اليماً وتجددين ذكرى مرة . ان في صدري اشياء تكاد ان تخنقني، وانا اكتمها عنك، فلا تحرجيني الى النطق بها.

ليلى اشركيني في آلامك يا اماه.

مريم ماذا اقول يا بنيتي . انك في وهم وضلال . هذه القرية التي تدعين انها لنا هي خلاصة مظالم لا تحصى ... انك لتجدين على كل خشبة من خشب اكواخها، وعلى كل حجر من حجارة بيوتها لفظة «الظلم» مكتوبة بدم الفقراء. ... لم نكن من قبل ما نحن الآن، كما تتوهمين ... كأن لنا هذا البيت وما حوله . . . ثم اخذت تمتد املاكنا كما تمتد السنة النار في زرع يابس.

ليلى ومن اشعل هذه النار ؟

مريم من اشعل هذه النار ؟ اشعلها ابوك . ابوك ذو القلب الحجري، ابوك الطماع القاسي . الرجل الهائل، الرجل الذي لا تمس يده شيئاً الا كسره . آه ! نحن شقيتان يا ولدي ... نحن عبدتان ضعيفتان حقيرتان في هذا البيت المظلم . نحن لا نرد ضيماً ولا ندفع أذى (تكاد تبكي)

ليلى سامحيني، يا امي . فقد اثرت شجونك، واسلت دموعك.

مريم ابوك من عبدة المال . انه يدوس على قلوب الارامل، ووجوه الفقراء، ليصل الى فلس مطروح بعيداً عنه ... لا يعيش الا للمال، لا يحلم الا بالمال، لا يرى الا المال ... هل رأيته يوماً يبتسم ابتسامة صادقة ؟ هل هش لك يوماً ؟ هل حضنك يوماً ؟ هل ضمك الى صدره ؟ من انا ؟ من انت ؟ نحن امتعة ملقاة في البيت لا تفيد شيئاً . الثور الذي يحرث الحقل، والشجرة التي تثمر، هما افضل منا ... تسألينني لماذا هاجر شهيد اخوك ! ...

ليلى كفى، يا امي، كفى . بحقك، كفى !

مريم شهيد اخوك روح طاهرة .

ليلى أمي !!

مريم لما ترعرع ونما واخذ يستأنس بالحياة ، وانفتح قلبه للشباب ، التفت حوله فما وجد الا وجوهاً مغلقة ، ونظرات ملؤها الضغينة والحقد . فكان اذا اقترب من فتى ليمدّ اليه يده سلّ ذلك الفتى اصابعه ومشى . وكان اذا ولج على جماعة من الشبّان يغنون ويرقصون انقطعوا عن لهوهم وحوّلوا عنه لحاظهم ، وربما تفرقوا عنه وتركوه وحيداً . فكان شهيد يتألم . وكان يرجع الى البيت حزيناً . وكم من مرة رأيته منفرداً في غرفته وهو يبكي ... ولكنه تجلّد ، وفتح قلبه للفقراء ، وتواضع لهم وتقرب منهم بكل وداعة وعطف حتى كسر شيئاً من حدة بغضهم . فاخذ بعضهم يميل اليه . ولكنّ اباه كان ينظر الى هذا التصرّف نظر الغيظ والحنق ، وقد سمعته مراراً يشدّد عليه في تجنّب هذه الشفقة وهذا العطف ويقول له : « يا لك من شقي ؟ كاني بك تنفق في يوم واحد ما جمعته في السنين الطوال ! »

ليلى بحقي عليك يا اماه ، الا كففتِ عن هذه الذكريات الدامية !

مريم وما زال الوالد والابن في نفور وتناقض حتى طفح الكيل وانفجر المرجل ... كنتِ ، يا ولدي ، صغيرة جداً ، فلا تذكرين شيئاً من هذا ... في هذه الغرفة ، وامام هذه الصورة ، صورة العذراء ، تصادم ابوكِ وشهيد ، امام نفر من الدرك وامرأة ارملة مسكينة . ومن هذه الغرفة ذهب شهيد ولم يرجع ...

كان لابيك دين على هذه المرأة ، فاخذ به حكماً عليها وامراً ببيع كل ما تملك لاستيفائه . ولم يكن لها الّا بيت حقير وقطعة ارض امامه . فجاءت تترجّى وتبكي ، واستصحبت طفلها معها ، وجثت على قدمي ابيك واستعطفت حتى رقّ لها الجندي . اما ابوك فكان كالصخرة الصماء .

فلما رأى ذلك شهيد لم يملك عبراته ، فاخذ يحنن قلب ابيه بالفاظ

كلها عطف وحنوّ ، وارتمى على يده يقبلها ، فلم ينل منه شيئاً .
فاستشاط اذ ذاك شهيد غضباً ، ورفع صوته قائلاً : « ان لم تعطف على
هذه المسكينة فانا ذاهب ولن ارجع . » فصفعه ابوك صفعةً لا يزال
دويّها يرنّ في أذنيّ ، وصاح به : « اذهب الى حيث شئت فـلا خير
فيك » . . . وهاجر شهيد . ولم يعد . ولم يكتب . ولا نعرف اين هو .

ليلى (تبكي)

مريم اما الأرملة فات طفلها ، وفقدت عقلها . وكانت كلما وقفت على
الابواب تتسوّل تدعو على ابيك ، وتدعو علينا جميعاً .

ليلى رُحماك ، اللهم ! رحماكِ ، ايتها العذراء !

مريم وانني منذ ذلك الحين انتظر المصيبة كل يوم . وكلما فتحتُ الباب
اتصور انها وراءه .

ليلى صبراً ، يا امي ، تعالي نصلّي لعلّ الله يردّ عنا غضبه . لنحسن الى
الفقراء ، لنصنع الجميل . لعلّ الاحسان يردّ المصيبة !

مريم ولكن الفقراء لا يأكلون خبزنا ، يا ولدي ، يخافون شرّ خبزنا . ولا
يستعطي على بابنا الا الغرباء . فهم لا علم لهم باللعنة المكتوبة علينا .
(تقف المرأتان امام ايقونة العذراء تصليان . عندئذٍ يسمع من بعيد نشيد (١ متسوّل
يقترب قليلاً فقليلاً ، حتى اذا وصل امام البيت وقف عن الانشاد . تدخل ليلى الغرفة
وتأتي برغيفين)

الفقير (من الخارج) أعطوني الله يعطيكم !

ليلى هذا فقير جاء البارحة ، وقد اوصيته ان يرجع .
(تجلس مريم الى الطاولة بينا ليلى تعطي الفقير . وفي هذه الآونة يبدو ابو شهيد
في الباب ويرى ابنته على هذه الحالة، فيحدق نظره اليها غاضباً، وهي تقول للفقير :)
صلِّ لاجلنا ، يا اخي :

---

١) يمكن ان ينشد الفقير هذين البيتين :

ناءٍ عن الاهل، مسكين اضرّ به طول البعاد ودهرٌ ظالم قاسِ
هل راحم يرتجي اجراً فيرحمه ! لا يذهب العرف بين الله والناس !

(لها صلة)

جولة في المجلات

استعمال اللغة السريانية في الطقس البيزنطي في صيدنايا

قد يذكر قرّاؤنا تلك المناظرات الشديدة التي قامت ، لثلاثين سنة خلت ، حول استعمال الروم ، من ارثوذكس وكاثوليك ، للغة السريانية في طقوسهم البيزنطية ، وما ادّت اليه من جدال عنيف ومكابرة بعيدة عن روح العلم المتجرّد . وقد اطلعنا مؤخرًا في مجلة « المسرّة » (كانون الاول ١٩٣٢ ، ص ٥٩١-٦٠٣) على بحث دقيق بالعنوان اعلاه مقتطف من كتاب نفيس وضعه المؤرخ المدقق السيد حبيب زيّات بعنوان « خفايا الزوايا من تاريخ صيدنايا . » جال الكاتب في موضوعات عديدة تدور كلها حول ذاك الدير الشهير ، ومنها البحث الذي يعنينا اليوم . فابان اهمية هذا الموضوع في معرفة لغة الملكيين الطقسية في كل الديار الشرقية قبل القرن الثامن عشر . واشار الى الصعوبات التي تعترض الباحث في ذلك ، والى المناظرات العديدة الآخذة بعضها ، بل اكثرها ، مأخذ الهوى والميل والتعصّب . ثم قال : «ومهما يكن من دعوى الفريقين فلا مشاحة ان اهل القرى والجبال كانوا اكثر ما يتكلمون بالسريانية او يصلّون بها الى حين تعلموا العربية فجمعوا بين اللغتين . وبقيت منهم بقية الى اواخر القرن الثامن عشر . » واشار الى المخطوطات الملكية السريانية المحفوظة في رومة وباريس والشام ولبنان وكلها تدلّ على ذلك . ثم خصّ بكلامه دير صيدنايا فقال (ص٥٩٤) :

ولا ريب انه لو كانت سلمت لنا مخطوطات دير السيدة ودقوقها ولم تتلفها يد الغباوة والجهل لامكننا ان نقف فيها على اسماء كثيرين من نساخ صيدنايا في السريانية وبينهم بعض رهبان الدير ورؤسائه واحباره . ومن طالع كتاباتهم وتعليقاتهم التي ترى اليوم على عدة مصاحف سريانية مصونة في الخزائن الاوربية وكانت موقوفة على كنائس صيدنايا او مستعملة فيها يتحقق لاول وهلة ان كلًّا من الاساقفة الذين تتابعوا على صيدنايا حتى اوائل القرن الثامن عشر كان يعرف الارامية ويكتبها ويصلي بها الطقوس البيزنطية . وسيأتي

في الفصل المعقود لهم تعداد كل هذه الكتابات والتعليقات التي لكل منهم في كتب الصلوات السريانية. نُجمل منهم هنا ذكر بطرس (سنة ١٢٦٤) واثناسيوس (١٤٣١) ومرقص (١٤٤٦—١٤٥١) وسمعان (١٥٦٥—١٥٨٠) واثناس (١٥٩١—١٦٠٤) وسمعان (١٦٠٤—١٦٣٤) ويواصف (١٦٤٥—١٦٤٨) . ولهذا الاخير في خزانة المرحوم المطران يوسف داود السرياني بدمشق كتاب القنداق بخط يده نسخ فيه الصلوات باللغتين السريانية والعربية بتاريخ ١٦٤٦ ولسمعان سلفه في خزانة الفاتيكان بضع صفحات اتها كانت ناقصة من ميناون شهري نيسان وايار في السريانية الى غير ذلك مما سيمرُّ بنا او يظهره لنا غداً روَّاد البحث والتنقيب.

ولا شكَّ عندنا ان كل الاساقفة الذين خلفوا يواصف بعد سنة ١٦٤٨ الى سنة ١٧٢٢ كانوا يعرفون السريانية او على الاقل كانوا يتكلمون بها. ومما يؤيد ذلك ما حكاه السمعاني عن آخرهم جراسيموس الدمشقي (١٧١١—١٧٢٢) بعد زيارته الدير في شهر تشرين الاول سنة١٧١٥ قال: « والاسقف والرهبان يحتفلون الان بالقداس الالهي والصلوات للراهبات في كنيسة السيدة حسب الطقس الرومي باللغة العربية . ولكن قبلًا كانت هذه الصلوات تقام باللغة السريانية. . . وهذا الاسقف يدعى جراسيموس وهو رجل بسيط مستقيم يتكلم ليس باللسان العربي فقط ولكن بالسرياني ايضاً » . ثم ذكر حسن استقبال الراهبة الرئيسة والرهبان له. قال: « واعطوني بعض المخطوطات السريانية ومعظمها في طقسيات الكنيسة الرومية. وكانت مطروحة في احدى زوايا الهيكل طعمة للصراصر والعث. »[1]

واجلُّ الشواهد على مكانة اللغة الارامية في صيدنايا هذه العقود والصكوك العربية المتعلقة باوقاف الدير التي كان يُرى في ذيلها احياناً توقيعات الاساقفة بخطوط ايديهم بالسريانية . وقد حُفظت منها بعض نسخ في دفترين أطلعتنا عليهما الرئيسة الحاجة مريم صباغ يوم زيارتنا الدير في ٢٩—٣٠ ايلول سنة١٩٣٠ وكان في النية تصوير هذه التوقيعات لنشرها هنا مع غيرها من الصفحات

١) برنامج المخطوطات السريانية الفاتيكانية ، باللاتينية ص ٤٧٨

والكتابات والفوائد التي ترى في بعض مخطوطات الدير مما له شأن في التعريف بتاريخه وتاريخ الكرسي الانطاكي. ولكن ابى ذكاء بعض الوكلاء ان ننقل شيئاً بدعوى انه قد مضى على الدير نيف والف سنة وليس له تاريخ مكتوب دون ان يسقط ذلك من قدره. قال: ولا ارى ما يستفيد الدير من مثل هذه المنشورات التي لا تزيد شيئاً في ريعه (كذا).

وهذه التوقيعات السريانية القيمة بعضها لاسقف صيدنايا اثاناس بتاريخ ١٠١١ للهجرة (١٦٠٢ م) وبعضها الآخر لخلفه سمعان بتاريخ ٧١١٧ لآدم (١٦٠٩ م) و١٠٣٠ و١٠٤١ للهجرة (١٦٢٠ و ١٦٣ م) فعسى ان لا تُتلف سورها كما أتلفت قبلاً كل الذخائر السريانية التي كان الدير غنياً بها في اوائل القرن الماضي. وحبذا لو نشر مضمون هذين الدفترين بالحرف الواحد لما يمكن تعليقه عنهما من الاخبار والآثار والفوائد عن صيدنايا واهليها واوقافها واسماء بعض البيوت والاملاك والحدود في ما جاورها من القرى والبلاد...

ثم ذكر ما يدل ايضاً على سريانية صيدنايا من الآثار المحفوظة في الملابس الكهنوتية مكتوبة باللغة السريانية.

وقد عُرفت سريانيةُ اهل صيدنايا قديماً وثبت اختصاصهم بها لدى زوّار الدير عموماً ممن مروا بهم او خالطوهم وسمعوا كلامهم وصلواتهم بها. واشهر من نبه عليها من الغرباء انبا مخايل القبطي مطران دمياط في القرن الثاني عشر فقد نقل عنه الشيخ المؤتمن ابو المكارم سعدالله بن جرجس بن مسعود فصلاً قال فيه:

«وجدت بخط انبا ميخايل مطران دمياط في الثاني والعشرين من برمودة سنة ثمانماية كنائسية (١٧ نيسان ١١٨٦ م) يتضمن ان شرقي دمشق على مسيرة نصف وربع نهار ثمّ بلدة يقال لها صيدنايا. تنبعها تصير الى قرنة الجبل تجد كنيسة عالية البناء حسنة جداً يسيد قوم «ملكية ولسانهم سرياني». والكنيسة المذكورة على اسم السيدة العذرى الطاهرة...» (١

---

١) كتاب الكنائس والديارات نسخة خطية وحيدة محفوظة عند الاستاذ جرجس فيلوثاوس عوض بطنطا تلطف باطلاعي عليها. ومنها نقلت حرفياً ما تقدم اعلاه وما سيجيء.

وهذه الشهادة نص واضح صريح على سريانية صيدنايا لا يدع اقل مجال للتأويل او الجدال فحسبنا به صحة ساطعة لقول كل خطيب.

وقد كان الدير حتى اوائل القرن التاسع عشر حافلاً بالمخطوطات والاوراق السريانية وبينها كل قديم ونفيس ومعظمها من الكتب الدينية التي كانت موقوفة على الكنائس والاديار. بلغت كثرتها فيه مبلغاً ضاق به ذرع الوكلاء حين ارادوا ان ينفوا عن الدير نسبة السريانية فلم يروا لابادتها والتخلص منها واسطة اعجل من ايقاد النار بها في خلال اسبوعين. وغنيٌّ عن البيان ان مثل هذه المصاحف العديدة التي توارثها الدير منذ القدم وحبسها عليه كل الرهبان والزوار حبساً مؤبداً واوجبوا اللعن على كل من اخرجها منه او تصرف بشيء منها لم تجتمع فيه عبثاً ولم تُخزن لمجرد الهوى والمغالاة. وانما اوجدتها فيه حاجة الاستعمال وضرورة الصلاة وانتفاعهم فهي شهود على لغة كتّابها وقرائها تنادي بعد زوالهم بلسان حالهم.

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

ويتابع المؤرخ المدقق سرد الشهادات على سريانية صيدنايا من اقوال الرحالة الافرنج كنيبوهر (١٧٦٣) وفولني (١٧٨٥) وبرتون (١٧٩٧) وكلها تؤيد ما اراد ان يبرهن عنه. ثم يختم الفصل قائلاً:

ومن تدبر ما تقدم بعين النزاهة والاخلاص لا يسعه الا ان ينقاد لما اوردناه من البينات والآثار التاريخية ويأسف كل الاسف ان جهلها قبل اليوم كان هو الباعث الاكبر على اتلاف ما أُتلف من المخطوطات والاوراق والرقوق السريانية التي كانت محفوظة في الدير وكان احراقها عمداً وتواطؤاً نكبة من نكبات الشرق لا ينقضي تذكارها وحرقة في صدر العلم لا يخبو أوارها.

شذرات

حفريات افامية في خريف ١٩٣٢

عوّدنا قرّاءنا الكرام ان نطلعهم كل سنة على نتائج الحفريات التي تقوم بها البعثة البلجيكية في موقع افامية . وقد قابلنا في كانون الاول الفائت حضرة الاستاذ ماّيانس ، رئيس البعثة المذكورة ، بعد اختتامه حفريات هذه السنة ، فاذا به يطفح بشراً وحبوراً لما وقف عليه من الآثار العديدة . واهمها رصيف الجادة الكبرى في وسط المدينة ، وهو وافر التزويق وقد نُزّلت فيه قطع الفسيفساء الملوّنة ممثلةً صور الحيوانات المختلفة من جمال مربوطة ، واسود ، ونمورة ، وعدد من البطّ ، وغيرها من الطيور المائية ، وخنزير برّي يهجم عليه اسد ، وغزال يركض وراءه اسد آخر ، وكلب صيد ، وما شاكل من الحيوانات المعروفة في سورية والتي لا يتعدّى مصوّرها الى اظهار فكرة دينيـة ، بل هو رسم طبيعي محض بالهام شرقي خالص لا تأثير يوناني ولا روماني فيه . ومما لفت الانظار في تلك الفسيفساء صورة ناعورة هي طبق الاصل ، من حيث الشكل ، لنواعير حماه اليوم . وقد وجدت هذه الفسيفساء مغطاة ببلاط من الرخام النظيف استدلت منه البعثة ، ومن تنوّع الطراز الهندسي في طبقات البناء الواحد ، على ان المدينة تتابعت عليها الحوادث فكانت تهدم ويُعاد بناؤها آناً بعد آخر .

ومما اكتشف ايضاً تمثال نصفي لافلّون ، ورقيمان احدهما باسم لوكيوس بن غايوس يوليوس اغريبا يشير الى ان سلفاءه نالوا رتبة شرف من الامبراطور اغسطوس . والآخر يشير الى ذكرى رجل روماني اخذ على نفسه تقديم الحجارة لبعض مباني المدينة . وكذلك اكتشف شمعدان من عصور النصرانية الاولى ، وكثير من الآثار المختلفة مما يقلّ اهمية عمّا تقدّم ، مع شيء من الاقنية المائية ، مما دلّ على ان المدينة كانت على تقدم محسوس من حيث الشؤون الصحية .

هذا وقد اخذت البعثة حصتها من المكتشفات بعد ان اعطت حكومة سورية حصتها حسب الاتفاق المعقود سابقاً . واخبرنا الاستاذ ماليانس انه يهتم ببناء رواق افامية في بروسل ، عاصمة بلاده، على طول ٣٠ متراً . وستعود البعثة في الخريف القادم لمواصلة عملها .

مجمع اللغة العربية الملكي في مصر

صدر مرسوم من ملك مصر بانشاء مجمع علمي للغة العربية . فاغتنمت جريدة « الاهرام » فرصة وجود المستشرق الانكليزي دنيسون روس في مصر وسألته رأيه في انشاء المجمع المذكور ، فقال ما ملخصه :

انها فكرة طيبة حان الوقت لتنفيذها منذ زمن طويل . ولا تتناول اهميتها مصر فحسب بل تتناول الشرق باسره والشرق العربي بوجه خاص ...

ان امام المجمع الجديد مهامّ شاقة واعمالاً واسعة المدى . ولاشكّ ان اشقّها واطولها وضع قاموس للغة العربية يكون عمدة البحث كقاموس «مري» في اللغة الانكليزية ، و«لتري» في اللغة الفرنسوية . ولا بدّ من ان المجمع يدخل درس اللهجات العربية ضمن اغراضه . وسيكون في مقدّمة اعماله البحث في طريقة وضع القاموس المشار اليه وهل يكون ذلك حرفاً بحرف حسب ترتيب الحروف ؟

وتتناول ابحاث المجمع آداب اللغة ، وتاريخها ، وفقهها . وسيعنى المجمع ايضاً بالجانب التاريخي للكلمات فيتناول كل كلمة ويتعقّبها في التاريخ ويتتبع تغييراتها على مرور الزمن ، ويورد طرق استعمالها المختلفة ، ومواضع استعمالها ، واسماء من استعملها ، ونحو ذلك . وهو امر يجرّ الى درس مصنّفات عديدة منها ما لم يطبع بعد ، والى الاقتباس من الشعر العربي في مختلف عصوره .

ويسرّني ان عدد الاعضاء المراسلين لم يحدّد ... وقد احسنت وزارة المعارف اذ لم تجعل عضوية المجمع مقيدة بالجنسية ... وذلك ان اللغة العربية ليست لغة مصر فحسب بل هي لغة عدة بلاد واهتمام العالم العلمي بها عامّ .

مطبوعات شرقية جديدة

Zev Vilnay : Legends of Palestine. *XIV* — 492. *pp. The Jewish Publication Society of America, Philadelphia.* 1932

اساطير فلسطينية

يجمع هذا المجلد نحو مائتي حكاية كان اكثرها قد ظهر باللغة العبرية في لندرة سنة ١٩٢٩ بعنوان « Agadot Erez Yisrael » . وها ان المؤلف يترجمها الى الانكليزية زائداً عليها نحو ستين اسطورة جديدة . وقد زيّنها بعدد عديد من التصاوير التاريخية آخذاً بعضها عن كتب قديمة نادرة . اما الاساطير فقد جمعها ورتّبها بحسب الاماكن التي تتعلّق بها . وهي مترجمة بلغة صحيحة غالباً دون ان يكون لها نصيب كبير من التحسين والرشاقة . حتى ان المطالع ليشعر ، بعض الاحيان ، بعدم التناسب الناشئ خاصة عن الانتقالات الفجائية ، ولاسيما عندما يتكلف الكاتب الاتيان بنصوص الكتاب المقدس بلغة عليها مسحة القدم ثم يردفها حالًا بجمل مبتذلة . هذا والاساطير كلها قصيرة لا تتجاوز احياناً الشذرات المقتطعة من التقاليد الشفهية التي قد يكون حفظ شيئاً منها بعض الرحالة في القرون الوسطى او في عصرنا الحاضر . يذكرها المؤلف ويزيد عليها بعض الشروح المقتضبة مفرداً في ملحق ذكر مصادر الاساطير كلها . وهي مصادر عبرية في الغالب او عربية يدلّ بها المؤلف على انه ، مع معرفته بالاماكن الفلسطينية الحاضرة واهتمامه بجمع التقاليد المتناقلة حتى اليوم ، لا يهمل مطالعة نصوص التلمود والمدارش العبرية ولا الرجوع الى اساطير الادب العربي . اما غاية الكاتب فيقول انها جمع اساطير تمثل تاريخ اسرائيل . فان كانت كذلك فلنا ان نعجب كيف انه اهتم بالاستقاء من مصدر ، وان يكن سامياً ، فهو يظهر على كل حال بعيداً عن اليهودية . وهناك نقص مهمّ في الكتاب وهوان المسيحي يفتّش فيه عبثاً عن تذكارات او آثار ترتقي الى العصر الذي يهمّه فوق سائر العصور .

ك . ب . يوز

René Mouterde s. j. : Précis d'histoire de la Syrie et du Liban. *in-12 de* 183 *pp.* 1932. *Beyrouth, Editions de l'Imprimerie Catholique. Prix :* 10 *f*s

ملخّص تاريخ سورية ولبنان

هو طبعة جديدة منقّحة ومزيد عليها (حتى سنة ١٩٣٢) لملخص تاريخ سورية ولبنان «Petite histoire de Syrie et du Liban» الذي ظهر سنة ١٩٢٤. وقد اعاد فيه المؤلف نظره فاخرج مجلّدًا جديدًا من خير ما يوضع بين ايدي المرشحين للامتحانات الرسمية، ومن خير ما يلجأ اليه كل مطالع يريد، في الوقت القليل، المعلومات الكثيرة الدقيقة. وفي المجلّد اربع خرائط صغيرة، وفهرس ابجدي واسع لجميع مراد الكتاب. ه. ل.

Van der Meulen *und* **Von Wissmann** : Hadramaut. some of its mysteries unveiled. *in-8° de* 248 *pp. Leiden, E. J. Brill.* 1932

حضرموت

لا يخفى ما يحيط معلوماتنا عن بلاد حضرموت من الغموض والابهام حتى انها تعدّ اليوم ابعد مناطق الجزيرة العربية عن دروس العلماء. ومتى عرفنا ان معلوماتنا عن الجزيرة العربية نفسها عرضة لكثير من الوهم والالتباس ادركنا مقدار جهلنا ببلاد حضرموت. وهي منطقة مقفلة لا يتمكن الاريب من الاقامة فيها بسبب مناخها المحرق وخصوصاً بسبب بغض اهليها للاجانب ايًّا كانوا، وبسبب ما يقوم بينهم من المناوشات المتتابعة حتى يمكن القول ان كل مدينة بل كل قرية بل كل بيت في تلك الديار يحارب جاره، فالحرب حالتهم الدائمة. وعليه لم يبلغ من الاوربيين، في ما مضى، تلك الارض الا ثلاثة شاهدوا بعض معالمها ووصفوا عددًا قليلًا من اماكنها. وها اننا نرى اليوم رجلين من ارباب الجرأة ينتصران على تلك المصاعب وينجحان: احدهما هولندي مفوّض سياسي لحكومته لدى ابن سعود، والآخر الماني أستاذ في احدى الجامعات. ولما كان الوف من الحضارمة قد هاجروا الى مقاطعات الهند الهولندية فاثروا فيها، كان من مصلحة اهلهم المقيمين في الوطن ان يحسنوا استقبال ممثل هولندة السياسي. فاستفاد المسافران من هذه المناسبة، على انهما، رغم ذلك، رأيا الموت عن قرب

مرّات عديدة بسبب تعصّب الاهلين وجهلهم . وقد كتب الهولندي تفاصيل تلك الرحلة بسهولة وبساطة وتواضع جديرة بإنشاء ، بينا كان زميله يهتمّ بدرس المظاهر المعدنية والنباتية والجغرافية في تلك الارض . وقد توفّق الى وضع خارطة تفوق بكثير كل ما نعرفه من خرائط حضرموت . ويزين الكتاب النفيس كثير من الرسوم الدقيقة الجميلة تعمل مع كل ما تقدّم على ايجاد عاطفة حياة في تلك البلاد التي كانت حتى اليوم مكتنفة ، في عقول الدارسين ، بظلام المرت . ه . ل .

Dr Enno Littmann : Finianus. Die Abenteuer eines amerikanischen Syrers. Aus dem neuarabischen übersetzt und mit erklärenden Anmerkungen versehen. 1932, *VIII, 74 pp petit in-8° M.* 2,70. *Tübingen, J. C. B. Mohr (Paul Siebeck)*

قصة فنيانوس بالالمانية

يعرف قرّاؤنا الكرام تلك القصة الوافرة اللذة المعروفة بقصة فنيانوس ، وما فيها من التلميحات الى عادات اللبنانيين وتعابيرهم العامية . وقد اراد الاستاذ الدكتور ليتمن الالماني ان يطلع تلامذته على اللهجة اللبنانية - السورية فترجم لهم فنيانوس مقدّماً على القصة بعض المعلومات المفيدة ، وهو يمدح في هذه المقدمة الطبعة الدقيقة التي قام بها حضرة الاب لاي اليسوعي ، واستفاد المترجم منها ومن الملاحظات الملحقة بها . وكذلك اضاف المترجم الى النص كثيراً من الحواشي الموافقة . على اننا نشير الى ان حاشيته في الصفحة ٦٩ عن « طميش » غير صحيحة . اذ ليست كلمة « طميش » اسم قديس ، بل اسم دير ، وليس لها من علاقة باسم الالهة الوثنية ارطميس . ه . ل

Mgr A. Pons : La nouvelle Eglise d'Afrique ou le Catholicisme en Algérie, en Tunisie et au Maroc depuis 1830. *in-8° de* 343 *pp.* 1930. *Tunis, Librairie Louis Namura*

الكثلكة في الجزائر وتونس ومراكش منذ السنة ١٨٣٠

ان النشرات الرسمية المتعلّقة بالتذكار المئوي الاول لاحتلال الجزائر درست مظاهر ذاك التاريخ جميعها الّا تاريخ الكثلكة . فقام المؤلف يسدّ هذه الثلمة

المختصر المفيد في تاريخ سورية ولبنان المدرسي

تأليف يوسف عماد

٩٢ ص . متوسطة — مطبعة صادر ، بيروت ، ١٩٣٢

هو مختصر ابتدائي في الموضوع المذكور أُلف طبقاً لبرنامج المعارف العامة بانشاء سهل واسلوب واضح يفهمه تلامذة المدارس الابتدائية الذين وُضع من اجلهم . وفيه خارطة صغيرة مع بعض رسوم تظهر واضحة بالاجمال.

خزانة الواعظين والمتأملين

في الحياة المسيحية وحقائق الدين : المجلّد الثاني

تأليف الاب اغناطيوس التنوري

٤٤٤ ص. متوسطة صغيرة — مطبعة دير سيدة المعونات ، جبيل ، ١٩٣٠

تقدّم لنا في « مشرق » السنة الفائتة (٣٠ [١٩٣٢] : ٧١٧) وصف المجلد الاول من هذا الكتاب المفيد المتضمن اعتبارات في الحقائق ، والواجبات الدينية ، والرذائل ، والفضائل ، والعواقب الابدية . وها ان المؤلف الفاضل يهدي الينا مجلّده الثاني مشتملاً على اعتبارات وتأملات في الواجبات الاكليريكية والرهبانية . وهو يجري فيه على اسلوبه في المجلد الاول من اختصار هذه الاعتبارات وجعلها بشكل تقاسيم موجزة لموضوعات الوعظ والتأمل تدور على قسمين كبيرين . يختص الاول بالواجبات الاكليريكية كلها مختومةً ببعض صلوات للاستمداد والشكران . ويشمل الثاني الواجبات والفضائل الرهبانية والمسيحية موزّعة على فصول في الامور الروحية ، والحالة الرهبانية ، والمحبة الرهبانية ، والاماتة ، والتجارب ، والمطابقة . وكلاها تتصف بما اتصفت به ابحاث المجلد الاول من الوضوح والايجاز وحسن الاسلوب . وفّق الله المؤلف الفاضل الى اظهار مجلّده الثالث خدمةً للاكليروس الشرقي   ف٠١٠ب٠

* الرتب الكهنوتية في الطائفتين المارونية والسريانية * ٥٢ ص. متوسطة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٢ ، — هو البحث العلمي المفيد الذي نشره حضرة الخوري اسحق ارملة السرياني في « مشرق » السنة الفائتة ، جمع على حدة تعميماً للفائدة.

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ ت ٢ — ١٥ ك ١ ١٩٣٢

لبنان وسوريا — سافر المفوّض السامي ، السيد پونسو ، الى جنيف ليقدم بيانه السنوي امام لجنة الانتدابات في جمعية الامم . وقد مرّ بروما ، فباريس .

* دُشّنت في بيروت اول كنيسة للطائفة الكلدانية الكاثوليكيّة .

* أزيح الستار ، في بيروت ايضاً ، عن تمثالين للطيبي الذكر المطرانين طوبيا عون ويوسف الدبس المارونيين .

* اصدر رئيس الجمهورية السورية مرسوماً بعفو خاص له مفاعيل العفو العام عن جميع المحكوم عليهم في الانتخابات والمظاهرات وغيرهم . وقد نُفِّذ المرسوم . فتعدّدت السرقات على اثر ذلك .

مصر — اصدر الملك مرسوماً انشأ فيه مجمعاً علمياً للغة العربية . وقد اشرنا الى ذلك في شذرات هذا العدد .

* انشئ ثلاثة اوسمة : « نشان الزراعة » وهو « نشان الفلاحة » القديم ، و«نشان المعارف » ، و«نشان الصناعة والتجارة» .

* تمّ نقل مكتبة المرحوم احمد تيمور باشا الى دار الكتب المصرية ، وهي تحتوي على اكثر من ١٨٠٠٠ مجلد بين مخطوط ومطبوع مع كثير من القطع الاثرية والتذكارية . وقد اهداها الى دار الكتب ولدا الفقيد .

العراق — سافر نوري باشا السعيد الى جنيف لتمثيل العراق بجمعية الامم .

بلاد العرب — شبّت في عسير ثورة على ابن سعود بتدبير السيد الحسن الادريسي ، ولا تزال الاخبار قاصرة عن تقدير اهميتها .

العجم — الغت الحكومة الايرانية امتياز شركة الزيت الانكليزية-الايرانية . فادّى ذلك الى خلاف بين الحكومتين .

المطبعة الكاثوليكية المدير المسؤول : يوسف ماهر

المختصر المفيد في تاريخ سورية ولبنان المدرسي

تأليف يوسف عماد

٩٢ ص . متوسطة – مطبعة صادر ، بيروت ، ١٩٣٢

هو مختصر ابتدائي في الموضوع المذكور ألف طبقاً لبرنامج المعارف العامة بانشاء سهل واسلوب واضح يفهمه تلامذة المدارس الابتدائية الذين وُضع من اجلهم . وفيه خارطة صغيرة مع بعض رسوم تظهر واضحة بالاجمال.

خزانة الواعظين والمتأملين

في الحياة المسيحية وحقائق الدين : المجلّد الثاني

تأليف الاب اغناطيوس التنوري

٤٤٤ ص. متوسطة صغيرة – مطبعة دير سيدة المعونات ، جبيل ، ١٩٣٠

تقدّم لنا في « مشرق » السنة الفائتة (٣٠ [١٩٣٢] : ٧١٧) وصف المجلد الاول من هذا الكتاب المفيد المتضمن اعتبارات في الحقائق ، والواجبات الدينية ، والرذائل ، والفضائل ، والعواقب الابدية . وها ان المؤلف الفاضل يهدي الينا مجلّده الثاني مشتملاً على اعتبارات وتأملات في الواجبات الاكليريكية والرهبانية . وهو يجري فيه على اسلوبه في المجلد الاول من اختصار هذه الاعتبارات وجعلها بشكل تقاسيم موجزة لموضوعات الوعظ والتأمل تدور على قسمين كبيرين . يختص الاول بالواجبات الاكليريكية كلها مختومةً ببعض صلوات للاستعداد والشكران . ويشمل الثاني الواجبات والفضائل الرهبانية والمسيحية موزّعة على فصول في الامور الروحية ، والحالة الرهبانية ، والمحبة الرهبانية ، والاماتة ، والتجارب ، والمطابقة . وكلها تتصف بما اتصفت به ابحاث المجلد الاول من الوضوح والايجاز وحسن الاسلوب . وفّق الله المؤلف الفاضل الى اظهار مجلّده الثالث خدمةً للاكليروس الشرقي ف . ١٠ . ب .

* الرتب الكهنوتية في الطائفتين المارونية والسريانية * ٥٢ ص. متوسطة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٢ ، – هو البحث الطقسي المفيد الذي نشره حضرة الخوري اسحق ارملة السرياني في « مشرق » السنة الفائتة ، جمعه على حدة تعميماً للفائدة .

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ ت ٢ — ١٥ ك ١ ١٩٣٢

لبنان وسوريا — سافر المفوّض السامي ، السيد بونسو ، الى جنيف ليقدم بيانه السنوي امام لجنة الانتدابات في جمعية الامم . وقد مرّ برومة ، فباريس.

* دُشنت في بيروت اول كنيسة للطائفة الكلدانية الكاثوليكيّة .

* أُزيح الستار ، في بيروت ايضاً ، عن تمثالين للطيبي الذكر المطرانين طوبيا عون ويوسف الدبس المارونيين .

* اصدر رئيس الجمهورية السورية مرسوماً بعفو خاص له مفاعيل العفو العام عن جميع المحكوم عليهم في الانتخابات والمظاهرات وغيرهم . وقد نُفِّذ المرسوم . فتعدّدت السرقات على اثر ذلك .

مصر — اصدر الملك مرسوماً انشأ فيه مجمعاً علمياً للغة العربية . وقد اشرنا الى ذلك في شذرات هذا العدد .

* انشئ ثلاثة اوسمة : « نشان الزراعة » وهو « نشان الفلاحة » القديم ، و«نشان المعارف » ، و«نشان الصناعة والتجارة» .

* تمّ نقل مكتبة المرحوم احمد تيمور باشا الى دار الكتب المصرية ، وهي تحتوي على اكثر من ١٨٠٠٠ مجلد بين مخطوط ومطبوع مع كثير من القطع الاثرية والتذكارية . وقد اهداها الى دار الكتب ولدا الفقيد .

العراق — سافر نوري باشا السعيد الى جنيف لتمثيل العراق بجمعية الامم .

بلاد العرب — شبّت في عسير ثورة على ابن سعود بتدبير السيد الحسن الادريسي ، ولا تزال الاخبار قاصرة عن تقدير اهميتها .

العجم — الغت الحكومة الايرانية امتياز شركة الزيت الانكليزية- الايرانية . فادّى ذلك الى خلاف بين الحكومتين .

المطبعة الكاثوليكية — المدير المسؤول : يوسف ماهر